
يهدى ولا يباع
رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com
تكريم المرأة في الإسلام
إعداد
محمد بن جميل زينو
دار القاسم للنشر

اقرأ سلسلة التوجيهات للمؤلف :

١- توجيهات إسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع .
٢- أركان الإسلام والإيمان من الكتاب والسنة .
٣- شرح أركان الإسلام والإيمان .
٤- منهاج الفرقة الناجية والطائفة المنصورة .
٥- العقيدة الإسلامية من الكتاب والسنة الصحيحة .
٦- قطوف من الشمائل المحمدية والأخلاق النبوية .
٧- حكم الدخان والتدخين علىٰ ضوء الطب والدين .
٨- تنبيهات هامة على صفوة التفاسير .
٩- معلومات مهمة من الدين لا يعلمها كثير من المسلمين .
١٠- كيف نفهم القرآن ؟
١١- تنبيهات مهمة علىٰ قرة العينين وتفسير الجلالين .
١٢- كيف نربي أولادنا التربية الإسلامية الصحيحة ؟
١٣- صفة حجة النبي ﷺ ، والحج المبرور .
١٤- توجيه المسلمين إلىٰ طريق النصر والتمكين .
١٥- معجزة الإسراء والمعراج .
١٦- من بدائع القصص النبوي الصحيح .
١٧- نداء إلىٰ المربين والمربيات .



تكريم المرأة في الإسلام

الطبعة الثالثة مزيدة ومنقحة

إعداد

محمد بن جميل زينو

المدرس في دار الحديث الخيرية بمكة المكرمة

دار القاسم للنشر

الرياض ١١٤٤٢ ص. ب ٦٣٧٣

هـ ٤٧٧٥٣١١ فاكس ٤٧٧٤٤٣٢


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

سمحت بطبعه مراقبة الكتب والمطبوعات

١ر٢١٩ زينو، محمد بن جميل .
٢٧٦ ز تكريم المرأة في الإسلام/ محمد بن جميل زينو.
ط١ . ـ الرياض : دار القاسم، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م
١١٢ . . . ص؛ ١٢×١٧سم .
ردمك ١ ـ ٩ . ـ ٧٥٩ ـ ٩٩٦٠
١ . المرأة في الإسلام . أ . العنوان .

رقم الايداع ١٤/١٢٦٦
ردمك ١ ـ ٠٩ ـ ٧٥٩ ـ ٩٩٦٠

إذا أردت أن يكون لك الأجر في حياتك وبعد موتك، فاطبع هذا الكتاب، أو ساهم في طبعه، واتصل بالمؤلف ليساعدك على الطبع بأرخص سعر ممكن ويرسل لك نسخة مزيدة ومنقحة

هاتف البيت وفاكس : ٥٥٦١٨٢٧ مكة ص . ب ٦٠١



بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمدلله نحمده ونستعين ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد: فلقد كرَّم الإسلام المرأة بأن جعلها مربية الأجيال، وربط صلاح المجتمع بصلاحها، وفساده بفسادها، لأنها تقوم بعمل عظيم في بيتها، ألا وهو تربية الأولاد الذين يتكوَّن منهم المجتمع، ومن المجتمع تتكون الدولة المسلمة.

وبلغ من تكريم الإسلام للمرأة أن خصص لها سورة من القرآن سماها «سورة النساء»، فدل ذلك على اهتمام الإسلام بالمرأة، ولا سيما الأُم.

وقد حمَّلها الرسول ﷺ أمانة تربية الأولاد، فقال مُكرِّماً لها:

(والمرأة راعيةٌ في بيت زوجها، وهي مسؤولة عن رعيتها)

«متفق عليه»

ومن أراد المزيد عن تكريم المرأة في الإسلام فليقرأ الكتاب.

والله أسأل أن ينفع به القراء، ويجعله خالصاً لله تعالى.

محمد بن جميل زينو

المرأة في الجاهلية

١ـ لم يكن للمرأة عند العرب حق الإرث، وكانوا يقولون في ذلك: لا يرثنا إلا من يحمل السيف، ويحمي البيضة.

٢ـ لم يكن للمرأة على زوجها أيُّ حَقٍّ، وليس للطلاق عدد محدود، وليس لتعدد الزوجات عدد معين، وكانوا إذا مات الرجل، وله زوجة وأولاد من غيرها، كان الولد الأكبر أحق بزوجة أبيه من غيره. فهو يعتبرها إرثاً كبقية أموال أبيه!

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

(كان الرجل إذا مات أبوه، أو حموه، فهو أحق بامرأته إن شاء أمسكها، أو يحبسها حتى تفتدي بصداقها [بمهرها]، أو تموت فيذهب بمالها).

٣ـ وقد كانت العِدَّة في الجاهلية حولاً كاملاً، وكانت المرأة تَحِدُّ على زوجها شرّ حِداد وأقبحه، فتلبس شرَّ ملابسها، وتسكن شرَّ الغرف، وتترك الزينة والتطيب والطهارة، فلا تمس ماء، ولا تُقلم ظفراً، ولا تزيل شعراً، ولا تبدو للناس في مجتمعهم، فإذا انتهى العام خرجت بأقبح منظر، وأنتن رائحة.

٤ـ كان العرب في الجاهلية يُكرهون إماءهم على الزنا، ويأخذون أجورهم. «انظر كتاب المرأة بين تكريم الإسلام وإهانة الجاهلية»

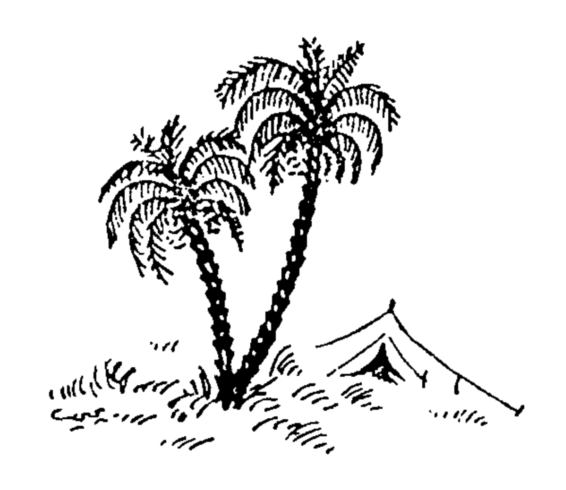
٥ـ قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ:
إن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء [أقسام]:
النكاح الأول: نكاح الناس اليوم: يخطب الرجل إلى الرجل وَلِيَّته، أو ابنته فيصدقُها [يعطيها المهر]، ثم ينكحها.
النكاح الثاني: كان الرجل يقول لامرأته إذا طهُرت مِن طَمثها: أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه، ويعتزلها زوجها، ولا يَمسها أبدًا، حتى يتبين حملُها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه؛ فإذا تبين حملُها أصابها زوجها إذا أحب، وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع.
النكاح الثالث: يجتمع الرهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يُصيبها [يجامعها]؛ فإذا حملت ووضعت، ومَرَّ ليال بعد أن تضع حملَها أرسلَتْ إليهم، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها، تقول لهم: قد عرفتم الذي كان من أمركم، وقد ولدتُ، فهو ابنك يافلان، تسمي مَن أحبت باسمه، فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع به الرجل.
النكاح الرابع: يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن جاءها، وهن البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون عَلَماً؛ فمن أرادهن دخل عليهن، فإذا حملت إحداهن

ووضعت حملها، جُمعوا لها [اجتمعوا] ودُعوا لهم القافة [الذي فيه شبه منه]، ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون فالتاط به [فالتحق]، ودُعي ابنه لا يمتنع من ذلك.

(فلما بُعِث محمد ﷺ بالحقِّ هدم نكاح الجاهلية كله، إلاَّ نكاح الناس اليوم). «رواه البخاري»

ويقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

(كنا في الجاهلية لا نَعُدُّ النساء شيئاً، فلما جاء الإسلام، وذكرهن الله رأينا لهن بذلك علينا حقاً). «رواه البخاري»



وأد البنات في الجاهلية

كان العرب في الجاهلية يكرهون البنات، ويدفنونهن في التراب أحياء خشية العار، وقد أنكر الإسلام هذه العادة، وصورها القرآن في أبشع صورة، فقال عن العرب في الجاهلية:

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾. «النحل»

[وجهُه مسودًا: كئيبًا من الهَمّ، كظيم: ساكت يُخفي حزنه، يتوارى: يكره أن يراه الناس، أيُمسِكُه على هُوْنٍ: أي: إن أبقاها: أبقاها مهانة لا يُوَرثها، ولا يعتني بها، ويفضل أولاده الذكور عليها، أم يَدُسُّه في التراب: أي يئدها، وهو أن يدفنها فيه حية كما كانوا يصنعون في الجاهلية]. «انظر تفسير ابن كثير»

وقد بالغ الله سبحانه وتعالى في الإنكار عليهم في دفن البنات، فقال: ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ ﴾. «التكوير»

[يوم القيامة تُسأل الموءودة عن أي ذنب قُتلت، ليكون ذلك تهديدًا لقاتلها، فإنه إذا سُئل المظلوم، فما ظن الظالم إذن؟].

تكريم المرأة في الإسلام

١ـ لم يعتبر الإسلام المرأة مكروهة، أو مهانة، كما كانت في الجاهلية، ولكنه قرر حقيقة تزيل هذا الهوان عنها: وهي أن المرأة قسيمة الرجل: لها ماله من الحقوق، وعليها أيضًا من الواجبات ما يُلائم تكوينها وفطرتها، وعلى الرجل بما اختص به من الرجولة، وقوة الجلَد، وبسطة اليد، واتساع الفكر والصبر على التعب والمكاره، أن يُولّى رياستها، فهو بذلك وليها يرعاها، ويذود عنها بدمه، وينفق عليها من كسب يده.

٢ـ ومن مظاهر تكريم المرأة في الإسلام أن سوّاها بالرجل في أهلية الوجوب والأداء، وأثبت لها حقها في التصرف، ومباشرة جميع الحقوق كحق البيع، وحق الشراء، وحق الدائن، وحق التملك، وغيرها.

٣ـ وقد كرّم الإسلام المرأة، وذلك حينما أخبر الله تعالى في القرآن بأن الله خلقنا من ذكر وأنثى، وجعل ميزان التفاضل العمل الصالح والتقوى فقال عز من قائل: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ «الحجرات: ١٣»

٤ـ ومن مظاهر تكريم المرأة في الإسلام الاهتمام بتعليمها:

عن أبي سعيد الخدري: قالت النساء للنبي ﷺ:
(غَلبَنَا عليك الرجال، فاجعل لنا يوماً مِن نفسك، فوعدهن يوماً لقيهن فيه، فوعظهن، وأمرَهن، فكان مما قال لهن:
(ما منكن امرأة تُقدِّم ثلاثة من ولدها إلا كان لها حجاباً من النار، فقالت امرأة: واثنين؟ فقال: **واثنين)**. «رواه البخاري»
[معنى تُقدّم تحتسب وترضى بموت أولادها]

٥ـ ومن مظاهر تكريم الله للمرأة أن ذكرها بجانب الرجل قال تعالى:
﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ «الأحزاب»

٦ـ ومن مظاهر تكريم المرأة أنه ساوى بينها وبين الرجل:
﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ «النحل: ٩٧»

تكريم الأُم في الإسلام

لقد ورد تكريم الأُم في الكتاب والسنة:

١ـ قال الله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ «لقمان: ١٤ـ١٥»

٢ـ ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾.

«الأحقاف: ١٥»

٣ـ جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله مَن أحَق الناس بحسن صحابتي؟ قال: (**أُمك**)، قال: ثم مَن؟ قال: (**أُمك**)، قال ثم مَن؟ قال: (**أُمك**)، قال ثم مَن؟ قال: (**أبوك**)

«متفق عليه»

فأنت ترى أن الرسول ﷺ أوصى بالأُم ثلاث مرات وهو تكريم للمرأة.

سورة النساء تكريم للمرأة

١ـ تخصيص النساء بسورة في القرآن :

وهذا دليل على تكريم المرأة، وقد تحدثت السورة عن أمور هامة تتعلق بالمرأة والأُسرة والدولة والمجتمع .

إن معظم السورة تتحدث عن حقوق النساء، فلذلك سميت سورة النساء، والمتأمل لهذه السورة الكريمة يرى فيها تكريماً للمرأة .

٢ـ خلق الله المرأة مِن ضِلع الرجل، وبَثَّ منهما الرجال والنساء :

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ «النساء : ١»

وهذاه الآية جزء من خطبة الحاجة التي كان الرسول ﷺ يبدأ بها خطبه، وهي مهمة جداً، ولا سيما للمتحدثين، والدعاة .

٣ـ المحافظة على حقوق اليتامى من النساء :

قال تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴿٣﴾ ﴾ «النساء»

[تعولوا : تجوروا] .

عن عروة بن الزبير أنه سأل عائشة عن قول الله تعالى :
﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ ﴾ :
قالت : يا ابن أختي هذه اليتيمة تكون في حِجر وَلِيها تُشركه في ماله، ويُعجبه مالها وجمالها، فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يُقسط في صَداقها، فيُعطيها مثل ما يعطيها غيره، فنُهوا أن ينكحوهن إلا أن يُقسطوا لهن، ويبلغوا بهن أعلى سُنتِهن [طريقتهن] في الصداق، وأُمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن. [القسط : العدل].
قال عروة: قالت عائشة: ثم إن الناس استفتَوا رسول الله ﷺ بعد هذه الآية فيهن، فأنزل الله :
﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ﴾
قالت عائشة : وقول الله في الآية الأخرى :
﴿ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ ﴾ رغبة أحدِكم عن يتيمته حين تكون قليلة المال والجمال، فنُهوا أن ينكحوا مَا رغبوا في مالها وجمالها مِن يتامى النساء إلا بالقسط مِن أجل رغبتهم عنهن إذا كُن قليلات المال والجمال. «متفق عليه»

٤ـ الاقتصار على زوجة واحدة إذا خاف عدم العدل: قال تعالى :
﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾. «النساء : ٣»

أي إن خفتم مِن تعداد النساء أن لا تعدلوا بينهن، فاقتصِروا على واحدة، وهذا تكريم للمرأة.

٥ـ **إعطاء النساء نصيب من الإرث**: قال الله تعالى:

﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ ﴾. «النساء ٧»

وكان الميراث في الجاهلية للذكور دون الإناث.

٦ـ **سبب التفاوت في الميراث بين الرجل والمرأة**: قال الله تعالى:

﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾

«النساء: ١١»

أي يأمركم الله أن تُعطوا للذكر مثل حصة البنتين، وذلك لأن الرجل هو الذي يُنفق على عياله، وهو الذي يدفع المهر للمرأة، وهو مُكلف بالنفقة.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان المال للولد، وكانت الوصية للوالدين، فنسخ الله من ذلك ما أحب، فجعل للذكر مثل حَظِّ الأُنثَيين، وجعل للأبوين لكل واحد منهما السُدس والثلث، وجعل للزوجة الثمن والربع، وللزوج الشطرَ والربع

«رواه البخاري»

٧ـ **المهر يدفعه الزوج للزوجة حسب الاتفاق** : قال الله تعالى :
﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ﴾ . «النساء : ٤»

عن ابن عباس : النِّحلة : المهر ، وقيل فريضة مُسَماة ، ولا ينبغي تسمية المهر كذباً بغير حق ، وعلى الرجل أن يدفع المهر عن طيب نفس ، فإن طابت نفسها عن شيء منه بعد تسميته ، فليأكله حلالاً طيباً .

٨ـ **الأمر للأزواج أن يباشروا زوجاتهم بالمعروف** : قال الله تعالى :
﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ ﴾ . «النساء : ١٩»

أي طيِّبوا أقوالكم وحسّنوا أفعالكم وهيئاتكم حسب قدرتكم لزوجاتكم كما تحب ذلك منها ، فافعل أنت بها مثله :

قال تعالى : **﴿ وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ ﴾** «البقرة : ٢٢٨»

وقال الرسول ﷺ : **(خيرُكم خيرُكم لأهلِه ، وأنا خيرُكم لأهلي)**
«رواه الترمذي وصححه الألباني»

٩ـ **على الزوج أن يُحسن إلى زوجته ، حتى في حالة كُرهها :**

قال الله تعالى :
﴿ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩ ﴾ . «النساء»

أي: فعسى أن يكون صبرُكم في إمساكهن مع الكراهة فيه، خيرٌ كثير في الدنيا والآخرة.

كما قال ابن عباس في هذه الآية: هو أن يعطف عليها، فيُرزقَ منها ولدًا، ويكون فيه خير كثير.

وفي الحديث: (**لا يَفركن مؤمن مؤمنة؛ إن كره منها خُلُقاً رضي منها غيره**). «رواه مسلم»

١٠ـ **لا يجوز استرداد المهر بعد المفارقة**: قال تعالى:

﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾

«النساء: ٢٠»

أي: إذا أراد أحدكم مفارقة زوجته، والزواج من غيرها، فما له أن يستردَّ من مهرها شيئاً، ولو كان قنطاراً من المال.

وقوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ «النساء: ٢١»

عن ابن عباس: أن المراد بذلك العقد [بين الزوج والزوجة].

وعن ابن عباس قال: إمساكٌ بمعروف أو تسريحٌ بإحسان.

وقال ﷺ في خطبة حجة الوداع:

(استوصوا بالنساء خيراً، فإنكم أخذتموهُن بأمانة الله،

واستحللتُم فروجهن بكلمة الله) . «رواه مسلم»

١١ـ ومن مظاهر تكريم المرأة تحريم المحارم من النسب، وما تبعه من الرضاع: قال الله تعالى:

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾ . «النساء: ٢٣»

فتحريم هٰؤلاء على الرجال له حِكَم عظيمة، وأهداف سامية، تقتضيها الفطرة، فتحريم نكاح الأُختين مثلاً لأنه يورث العداوة بين الأخوات.

* * *

قوامة الرجل للتنظيم لا للاستبداد

قال ﷺ: (**كلُ نفسٍ مِن بني آدم سَيدٌ، فالرجل سيدُ**[١] **أهله، والمرأة سيدة بيتها**). «صححه الألباني في صحيح الجامع»

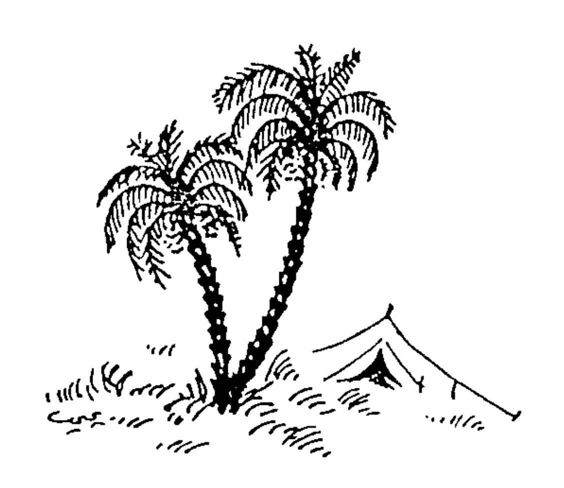
١ـ إن قوامة الرجل على المرأة قاعدة تنظيمية تستلزمها هندسة المجتمع، واستقرار الأوضاع في الحياة الدنيا، فهي تشبه قوامة الرؤساء وأولي الأمر، فإنها ضرورة يستلزمها المجتمع الإسلامي والبشري، ويأثم المسلم بالخروج عليهم مهما يكن من فضله في العِلم، أو في الدين، إلا أن طبيعة الرجل تؤهله لأن يكون هو القيِّم، فالرجل أقوى من المرأة وأجلد منها في خوض معركة الحياة، وتحمُّل مسؤولياتها، فالمشاريع الكبيرة يديرها الرجال، والمعارك الحربية يقودها الرجال، ورئاسة الدولة العليا يضطلع بها الرجال، وهكذا ترى الأمور الهامة يوفق فيها الرجال غالباً، ويندر أن تفلح امرأة إلا أن يكون من ورائها رجل يساعدها.

٢ـ إن النطاق الذي تشمله قوامة الرجال، لا يمس كيان المرأة ولا كرامتها، وهذا هو السر في أن الله تعالى لم يقل:

---

(١) المراد بالسيد هنا الزوج كما في قصة يوسف: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ﴾.

[الرجال سادة على النساء] وإنما اختار هذا اللفظ الدقيق:
﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ ﴾ «النساء: ٣٤»
ليفيد بأنهم يقومون بالنفقة عليهن والذبّ عنهن؛ وشأن القوامين أنهم يصلحون ويعدلون، لا أنهم يستبدون ويتسلطون
«انظر المرأة بين تكريم الإسلام وإهانة الجاهلية ص٧١٣»



الرجال قوامون على النساء

قال الله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾. «النساء: ٣٤»

١ـ يقول تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾

أي: الرجل قيّم على المرأة، أي: هو رئيسها وكبيرها، والحاكم عليها، ومؤدبها إذا اعوجت.

قال ابن عباس: يعني أمراء عليهن، أي: تطيعه فيما أمرها الله به من طاعته، وطاعتُه أن تكون محسنة لأهلِه، حافظة لما له.

٢ـ ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾:

أي: إن الرجال أفضل من النساء، والرجل خير من المرأة، ولهذا كانت النبوة مختصة بالرجال، وكذلك الملِك الأعظم:

لقوله ﷺ: (**لن يُفلح قومٌ وَلَّوا أمرهم امرأة**) «رواه البخاري»

وكذا منصب القضاء[١] وغير ذلك.

٣ـ وقوله تعالى: ﴿ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾

أي: من المهور والنفقات والكُلف التي أوجبها عليهم لهن في كتابه وسنة نبيه ﷺ، فالرجل أفضل من المرأة في نفسه، وله الفضل عليها والإفضال، فناسب أن يكون قيِّماً عليها، كما قال تعالى: ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ «البقرة: ٢٢٨».

٤ـ ﴿ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ ﴾ أي: من النساء.

﴿ قَٰنِتَٰتٌ ﴾ أي: مطيعات لأزواجهن.

﴿ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ ﴾: أي: تحفظ زوجها في غيبته في نفسها ومالها.

﴿ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾ أي المحفوظ: من حفظه الله.

«انظر تفسير ابن كثير»

---

(١) لأن هذه المناصب تتنافى مع فطرتها وعملها الأساسي: وهو الحمل والإنجاب، ورعاية البيت، وتربية الأولاد، وإعداد الجيل المسلم المدافع عن دينه ووطنه.

علاج المرأة العاصية لزوجها

١ ـ قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ﴾.

«النساء: ٣٤»

أي: والنساء اللاتي تتخوفون أن ينشُزن على أزواجهن.

والمرأة الناشزة: المترفعة على زوجها، التاركة لأمره، المعرضة عنه، المبغضة له، فمتى ظهر له منها أمارات النشوز، فلْيعظها، ولْيخوفها عقاب الله في عصيانه، فإن الله قد أوجب حق الزوج عليها وطاعته، وحرَّم عليها معصيته، لما له عليها من الفضل والإفضال، وقد قال رسول الله ﷺ:

(لو كنتُ آمراً أحداً أن يسجد لأحدٍ لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها). «صحيح رواه الترمذي»

وقال ﷺ: **(إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبتْ عليه، لعنتها الملائكة حتى تصبح).** «رواه البخاري»

وقال ﷺ: **(إذا باتت المرأة هاجرة[1] فراش زوجها لعنتها**

---

(١) هجر المرأة فراش زوجها، وعدم تمكينه من نفسها، ولا سيما إذا طلبها للجماع، إلَّا إذا كانت المرأة حائضة وهو خطر على المرأة، لأن ذلك قد يؤدي إلى وقوع زوجها في الزنا، أو بتركها، والزواج من غيرها.

الملائكة حتى تصبح). «رواه مسلم»

٢ـ وقوله تعالى: ﴿ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ ﴾:

قال ابن عباس: الهجر: هو أن لا يجامعها، ويضاجعها على فراشها، ويوليها ظهره، ولا يكلمها مع ذلك، وعن ابن عباس يعظها، فإن هي قبلت، وإلا هجرها في المضجع، ولا يكلمها من غير أن يَرُدَّ نكاحها، وذلك عليها شديد.

٣ـ وقوله تعالى: ﴿ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ ﴾:

أي: إذا لم يرتدعن بالموعظة ولا بالهجران، فلكم أن تضربوهن ضرباً غير مُبرِّح.

قال الحسن البصري: يعني غير مؤثر.

قال ابن عباس: يهجرها في المضجع، فإن أقبلت، وإلا فقد أذن الله لك أن تضربها ضربًا غير مُبرِّح [مؤثر]، ولا تكسر لها عظمًا، فإن أقبلت، وإلاَّ فقد أحل الله لك الفدية.

قال الفقهاء: هو ألاَّ يكسر فيها عضواً، ولا يؤثر فيها شيَناً.

أقول: [والقائل محمد بن جميل زينو]:

على الرجل إذا ضرب زوجته، أو غيرهاأن يجتنب الوجه لقول رسول ﷺ:

(إذا ضرب أحدكم **فلْيجتنِب الوجه، ولا تقل قبَّح الله وجهك،**

وَوَجه مَن أشبه وجهك ، فإن الله خلق آدم على صورته)

«حسن رواه أحمد»

٤ـ وقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ﴾

إذا أطاعت المرأة زوجها في جميع ما يُريده منها مما أباحه الله له منها فلا سبيل له عليها بعد ذلك ، وليس له ضربها ولا هجرانها .

٥ـ وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا[1] كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ :

تهديد للرجال إذا بغوا على النساء من غير سبب ، فإن الله العلي الكبير وَليُّهن ، وهو منتقم مِمن ظلمهَن وبغى عليهن .

٦ـ **التحكيم في الصلح أو الفراق** : قال الله تعالى :

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾ . «النساء : ٣٥»

بعد أن ذكر حال نفور الزوجة شرع بذكر حال نفور الزوجين ، وطلب حكماً ثقة مِن أهل المرأة، وحَكَماً ثقة من أهل الرجل ، ليجتمعا ، فينظرا في أمرهما ، ويفعلا ما فيه المصلحة مما يريانه من التفريق ، أو التوفيق :

---

(١) هذا دليل على عُلُو الله فوق عرشه كما دلت عليه الآيات، والأحاديث الصحيحة .

وتطلع الشارع إلى التوفيق بين الزوجين فقال تعالى:
﴿ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ ﴾.

قال ابن عباس: أمر الله أن يبعثوا رجلاً صالحاً من أهل الرجل، ورجلاً من أهل المرأة فينظران أيهما المسيء، فإن كان الرجل هو المسيء، حجبوا عنه امرأته، وقصروه على النفقة، وإن كانت المرأة هي المسيئة قصروها على زوجها ومنعوها النفقة. هذه بعض مظاهر تكريم المرأة في سورة النساء.

«انظر تفسير ابن كثير»



حق الزوجة وحق الزوج

لقد كرم الإسلام الزوجة، وجعل لها حقوقًا، ولزوجها حقوقًا عليها:

وقد وردت آيات وأحاديث تبين حقوق الزوجة والزوج، والحقوق المشتركة بينهما:

١ ـ **حقوق الزوجة على زوجها**: وتقسم إلى قسمين:

أ ـ **حقوق مالية**: وهي المَهر والنفقة:

فرضَ الإسلام المَهر للزوجة، وجعله حقًا على الرجل يُطَيِّب نفسها، ويرضيها بقوّامته عليها، وليس لأبيها، ولا لغيره أن يأخذ شيئًا من مهرها إلاَّ في حال الرضا والاختيار:

قال الله تعالى:

﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ۝٤ ﴾ «النساء»

وهو شيء له قيمة يتراضى عليه الطرفان قلَّ أو كثُر، ولا يجوز المغالاة في المهور تشجيعًا على الزواج، ولا سيَّما الفقراء، وقد غالى بعض المسلمين في المهور، ولحق الضرر بالرجال والنساء، حتى أصبح الحلال أصعب منالاً من الحرام.

أما النفقة فواجبة على الزوج بالكتاب والسنة والإجماع، وهي

كل ما تحتاجه الزوجة من طعام، ومسكن، ودواء، وإن كانت غنية، فإن قصَّر في ذلك أخذته سرًا:

قالت هند لرسول الله ﷺ: إن أباسفيان رجل شحيح، فهل عليَّ جناح أن آخذ مِن ماله سِرًا؟ قال:

(خذي أنتِ وبنوك بما يكفيك بالمعروف). «رواه البخاري»

ب ـ حقوق اجتماعية:

على الزوج أن يحسن معاشرة زوجته، ويكرمها ويلاطفها، ويحفظها، ويغار عليها وعلى سمعتها، وأن يجامعها حسب استطاعته:

قال ﷺ: **(إن لِزوجك عليك حقًا).** «رواه البخاري»

٢ـ حقوق الزوج على زوجته:

أن تطيعه في غير معصية الله، وتعترف بحقه وفضله، وأن تتزين له، وتحفظه ولا تخونه في نفسها، وتحفظ ماله، ولاتعبس في وجهه وتمتنع عن أي عمل يكرهه، ولا تُدخل أحدًا في بيته إلاَّ بإذنه، وعلى الزوجة أن تكرم أبا الزوج وأُمه، وأقاربه، ولا تصوم التطوع والحج إلاَّ بإذنه.

٣ـ الحقوق المشتركة بين الزوجين:

لقد كرَّم الإسلام الزوجة، وجعل لها حقوقًا، ولزوجها عليها

حقوقًا، فهذا رسول الله ﷺ يُعلن ذلك في أكبر اجتماع وأعظم موقف، وذلك حينما خطب الناس في حجة الوداع، وفي عرفات، فكان مما قاله ﷺ في خطبته:

(فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله: واستحللْتم فروجهن بكلمة الله(١)**، ولكم عليهن أن لا يوطِئن فُرَشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك، فاضربوهن ضرباً غير مُبرِّح [مُؤثر]، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف.**

وقد تركت فيكم ما ـ لن تضلوا بعده ـ إن اعتصمتم به: كتاب الله، وأنتم تُسألون عني، فما أنتم قائلون؟

قالوا: نشهد أنك قد بلَّغتَ وأدَّيت ونصحت.

فقال: بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء، ويَنكِتها [يميلها] إلى الناس: اللَّهم اشهد) «ثلاث مرات». «أخرج الخطبة مسلم»

---

(١) بإباحة الله الزواج في قوله تعالى:
﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ ﴾ «النساء: ٣».

من فوائد الخطبة العظيمة

١ـ فيها الحث على مراعاة حق النساء، والوصية بهن، ومعاشرتهن بالمعروف، وقد جاءت آيات وأحاديث كثيرة تبين حقوق النساء، وتُحذر من التقصير في ذلك.

٢ـ استحلال فروج النساء بالزواج الشرعي، كقول الله تعالى: ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾ «النساء: ٣»

٣ـ لا يجوز للزوجة إدخال أحد يكرهه الزوج في بيته، سواء كان رجلاً أجنبياً، أو امرأة، أو أحداً من محارم الزوجة، فالنهي يتناول جميع ذلك كما ذكره النووي.

٤ـ يجوز للرجل أن يضرب زوجته ـ إذا خالفته فيما تقدم ـ ضرباً ليس بشديد، لا سيما الابتعاد عن ضرب الوجه، أو تقبيحه، لأن فيه السمع والبصر، وقد يتضرر بالضرب، وقد نهى النبي ﷺ عنه.

٥ـ شهادة الصحابة على أن الرسول ﷺ قد بلّغ الرسالة، وأدَّى الأمانة، ونصح الأُمة.

٦ـ فيها الدليل الواضح على عُلُو الله على عرشه، حيث رفع الرسول ﷺ أصبعه إلى السماء ليُشهد الله على أنه بلَّغ الرسالة.

وهناك آيات كثيرة، وأحاديث صريحة تثبت أن الله على

السماء، وهو قول الأئمة الأربعة وغيرهم.

ومن الخطأ قول بعض الناس: إن الله في كل مكان!

لأن هناك أماكن نجسة، وقذرة يستحيل أن يكون الله فيها، كالحمامات وغيرها.

وإذا قلنا: إن الله معنا في كل مكان بعلمه يسمعنا ويرانا، فهذا صحيح، لأن الله تعالى يقول لموسى وهارون:

﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾. «طه: ٤٦»



الحكمة في خَلق الرجل والمرأة

١ـ خلق الله الخلائق على اختلافها من الإنس والجن لهدف عظيم، وهو العبادة، ولتحقيق العبودية لله تعالى وحده دون غيره من المخلوقات: قال الله تعالى:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾. «الذاريات: ٥٦»

٢ـ وقد خلق الله الناس من ذكر وأُنثى، وميَّز كلاً منهما بخصائص تختلف عن غيره في طبيعته، وطاقته، وقدرة تحمله؛ ومِن ثَمَّ فالمهام الملقاة على أحدهما تختلف عن الآخر بشكل متناسب، ومتناسق، فلم يكن ذلك اعتباطاً؛ وإنما على عِلم ودراية، ذلك هو الخالق سبحانه وتعالى:

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾. «الملك: ١٤»

٣ـ فكان من مهمة الرجل طلب العيش والرزق، والبحث عنه، والإنفاق على الزوجة والأُسرة، وهذا ما لا تستطيعه المرأة على الوجه الأكمل؛ وكان من مهمة المرأة أن تستقبل ذلك الزوج المتعب من طلب الرزق، فتُذهب عنه العناء، وتمسح عنه التعب، وتكون له راحة وتشجيعاً: قال الله تعالى:

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ

لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ . «الروم»

والمرأة وسيلة لإنجاب الأولاد، وتربيتهم التربية الصالحة، في حين يكون الرجل خارج البيت.

٤ـ ومن هذه المهام ما لا يستطيع الرجل أن يقوم بها على الوجه الأكمل كالغسيل والطبخ، ومنها ما لا يستطيع القيام بها أبداً كالحمل والإرضاع؛ فمثل الرجل والمرأة كمثل الليل والنهار، لكل واحد منهما دوره ومهمته، فالنهار للإبصار والتحرك، والعمل، والنشاط، فيكون فيه طلب الرزق والكسب من أجل الإنفاق، وهذا ينطبق على الرجل.

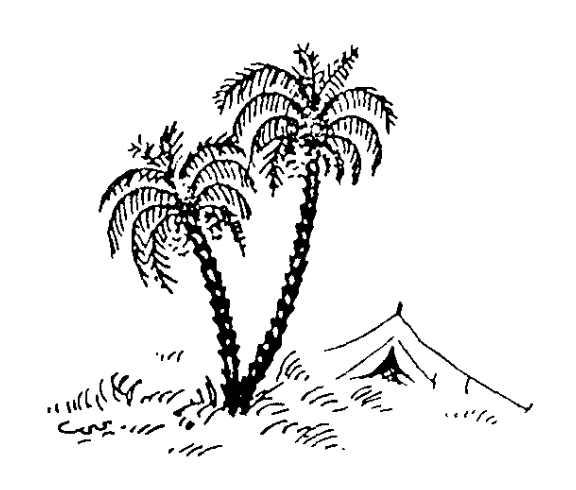
وأما الليل فهو للسكن، والهدوء، والنوم، والاستقرار، وهذا ينطبق على المرأة، وقد ذكرت قبل قليل الآية التى تشير إلى هذا العمل.

٥ـ إذن فالرجل والمرأة لكل واحد منهما دوره في الحياة، فلا يحاول أحد منهما أن يقوم بمهام الآخر، فإن ذلك لن يكون، وإذا حصل فتكون النتائج عكسية وسلبية، إما عليهما، أو على أولادهما، أو على المجتمع، ذلك لأنها تجري على عكس ما فُطِرت وجُبلت عليه المرأة، والرجل كذلك:

قال الله تعالى :

﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ . «الروم»

«انظر كتاب المرأة في الإسلام للشيخ فيصل المولوي»



سبب اختلاف الرجل عن المرأة

ومن اختلاف وظيفة الرجل ومهامّه عن وظيفة المرأة ومهامّها ترتب اختلاف في الأحكام الشرعية:

١ـ **الشهادة**: اشترط الإسلام لهذه المسألة رجلين، فإن لم يكن فرجل وامرأتان كما قال الله تعالى:

﴿ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾ «البقرة: ٢٨٢»

ليس امتهاناً، أو احتقاراً للمرأة، وإنما بحكم فطرتها، قليلة الاهتمام بأمور الجرائم، أو البيع والشراء والمداينات وما سواها؛ فقد لا تنتبه، أو تنسى بحكم اشتغالها في تربية الأولاد، وتدبير المنزل، وغير ذلك من الأمور المهمة، أضف إليها ما تقوم به من الرضاع ومايتنابها من الحيض والنفاس، وغيرها.

إن كانت معها واحدة أُخرى تذكرها فيكون ذلك أثبت للحق، وأدفع للظلم، فذلك قول الله تعالى:

﴿ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾.

«البقرة: ٢٨٢»

فشهادة المرأة قَبِلَها الإسلام، ولم يرفضها، على أن يصحبها

شهادة امرأة ثانية تذكرها إن نسيت، أو لم تنتبه إحقاقاً للحق، ودفعاً للظلم.

٢ـ **الميراث**: فيقول تعالى:

﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾. «النساء: ١١»

ليس هدراً لحقوق المرأة، وحاشاه، بل حفاظاً عليه، ذلك أن المرأة أخذت حقها من الميراث، وأخذ الرجل ضعف ما أخذت، لأنه مكلَّف بالإنفاق عليها، ودفع المهر لها، ودفع النفقة للمعتدة، وهي غير مكلفة بذلك؛ فاختلاف نصيبها في الميراث عن نصيب الرجل إنما هو نتيجة لاختلاف وظيفتها عن وظيفة الرجل، وليس انتقاصاً لحقها، أو كرامتها.

٣ـ **الدية في القتل غير العمد**: فإن من الحكمة أن يفرض الإسلام دية الرجل، ضعف دية المرأة، لأن المقتول حينما يكون رجلاً، فقد خسرت عائلته رجلاً كان يُنفق عليها، فتأخذ عائلته الدِّية ضعف ما إذا خسرت امرأة غير مكلَّفة بالإنفاق، بل هي يُنفَقُ عليها، فكان اختلاف الدِّيةِ باختلاف الوظيفة بين الرجل والمرأة.

٤ـ **رئاسة الدولة والإمارة**: إن من خصائص رئيس الدولة، أو الأمير في الإسلام أن يكون إماماً في الصلاة، وقائداً عسكرياً

في الحرب، والمرأة لا تستطيع، ولا يُمكنها أن تقوم بمثل هذه المهام لفطرتها التي تغلب عليها العاطفة، ولضعف جسمها، ومرورها في فترات حَمْل، وطَمْث، وغير ذلك من الظروف التي تمر بها المرأة دون الرجل، فضلاً عن عدم جواز الإمامة في الصلاة لها[لما فيه من الفتنة].

«انظر كتاب المرأة في الإسلام للشيخ فيصل مولوي»

٥ـ **الطلاق**: فالزوج الرجل هو الذي يُنفق المال في دفع المهر للزوجة، وهو الذي يدفع النفقة في مدة العُدة، وهو بمقتضى رجاحة عقله، ومزاجه، يكون أصبر من المرأة على ما يكره، فلا يسارع إلى الطلاق لأدنى غضب يحصل له؛ ولو كان الطلاق من حق الرجل والمرأة سواء لكثُر الطلاق إلى أضعاف، كما حصل في بلاد الإفرنج.

لذلك ومن أجل هذه الأسباب المتقدمة جعل الإسلام الطلاق من حق الرجل وحده. «انظر كتاب فقه السنة للسيد سابق»

٦ـ يقول محمد بن جميل زينو: الطلاق في الحقيقة إنما هو نعمة وتكريم للمرأة المسلمة، حيث يُخلِّصها من حياة نكدة، أو مِن زوج ظالم، أو لا يعدل، أو لا يقيم أركان الإسلام، أو لدوام شقاق بين الزوجين، رغم تدخل الأقرباء مِن الطرفين، أو لعدم وجود الحب بين الزوجين، أو غير ذلك من الأسباب

التي يتعذر الحياة معها، ولا يكون إلا بالفراق والطلاق، وقد جعل الإسلام الطلاق على مراحل: قال الله تعالى:

﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ ﴾ «البقرة: ٢٢٩»

ففي الطلقة الأُولى يحق للزوج أن يراجع زوجته، وتعود إليه، فهي فرصة للزوجين أن يعودا إلى حياتهما الزوجية، وفي المرة الثانية أيضاً، أما في الطلقة الثالثة فتحرم عليه، حتى تتزوج من غيره، ثم يطلقها زوجها، فيحق للزوج الأول أن يجدد الزواج بعقد جديد.



جلباب المرأة المسلمة

١ـ قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ﴾. «الأحزاب: ٥٩»

٢ـ وتحدث القرآن عن غطاء الرأس للمرأة، فقال بصيغة الأمر:

﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾ «النور: ٣١»

٣ـ وقد نهى عن التبرج بشتى صوره، فقال الله تعالى:

﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾. «الأحزاب: ٣٣»

إن نساء الجاهلية كن يلبسن غطاء الرأس ويَضربنه على ظهورهن فتظهر أعناقهن، ونحورهن، وآذانهن بالحُلي والأقراط، فنهى الله تعالى عن ذلك وأمرَ المؤمنات بسَترها.



شروط الجلباب

١ـ استيعاب الجلباب لجميع بدن المرأة حتى الوجه .

٢ـ أن لا يكون الجلباب ضيقاً بحيث يصف ما تحته من سِمَن، وظهور ثدي وغيره .

٣ـ أن لا يكون رقيقاً، فيصف، أو يشِفُّ ما تحته .

٤ـ أن لا يشبه لباس الكافرات لقول الرسول ﷺ :

(**مَن تشبَّه بقوم فهو منهم**) . «أخرجه أبوداود وصححه الألباني»

٥ـ أن لا يُشبه ملابس الرجال للنهي الوارد عن ذلك في الحديث :

قال رسول الله ﷺ :

أ ـ (**لعن الله الرجل يلبس لِبسة المرأة، والمرأة تلبس لِبسة الرجل**)

«صحيح رواه أبوداود وغيره»

ب ـ (**لعن الله المتشبِّهات مِن النساء بالرجال، والمتشَبهين مِن الرجال بالنساء**) «صحيح رواه أحمد وغيره»

٦ـ أن لا يكون زينة في نفسه .

٧ـ أن لا يكون مبخراً مطيباً .

٨ـ أن لا يكون لباس شهرة .

لباس الرجل والمرأة

قال الرسول ﷺ: (**مَن جرَّ ثوبه خُيَلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة**، فقالت أُم سلمة: فكيف يصنع النساء بذيولهن؟
قال: **يُرخين شبراً**، قالت: إذن تنكشف أقدامُهن، قال: **يُرخين ذراعاً، ثم لا يَزِدن**). «رواه الترمذي وقال: حسن صحيح»

يُستفاد من الحديث:

١ـ أن لباس المرأة يجب أن يكون عريضاً وطويلاً يغطي القدمين، بعكس الرجال الذين أمرهم الرسول ﷺ أن يُقصِّروا الثياب إلى نصف الساق، ولا يزيدوا على الكعبين لقوله ﷺ:
(**ما أسفل مِن الكعبين مِن الإزار ففي النار**). «رواه البخاري»
وفي عصرنا انعكس الأمر، فأصبح الرجال يطيلون ثيابهم أسفل الكعبين، وتتعرض الكعبين للنار، وأصبح النساء يُقصِّرن فوق الكعبين، ويتعرَّضن بهذا العمل وغيره لحرمانهن من دخول الجنة كما أخبر بذلك الرسول ﷺ بقوله:
(**ونساءٌ كاسياتٌ عاريات، مُميلاتٌ مائلات، رؤوسهُن كأسنمة البُخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها لَيُوجَد مِن مسافة كذا وكذا**). «رواه مسلم»
والمعنى: أن المرأة التي تكشف ساقها، أو شيئاً من جسمها،

أو تلبس الثياب الضيقة، أو الشفافة، أو تتمايل في مشيتها، وشعرها مرتفع كأنه سَنم جمل لا تدخل الجنة حتى تلقى جزاءها

٢ـ إذا كان قدَم المرأة لا يجوز كشفه، فوجهها بالأولى، لأنها تُعرَف به، وفيه الفتنة أكثر، وسفور المرأة تقليد للكفار والأجانب، وتشبه بهم: وفي الحديث:

(ومَن تشبه بقوم فهو منهم). «صحيح رواه أبو داود»

وليت المسلمين قلدوا الكفار في المخترعات النافعة كصنع الدبابات والطائرات وغيرها مما يفيد الأُمة:

ولكن كما قال الشاعر:

قلَّدوا الغربيَّ، لكن بالفجور
وعن اللُّب استعاروا بالقشور

٣ـ وتغطية وجه المرأة مستفاد أيضاً من قول الرسول ﷺ:

(لا تنتقِبُ المرأة المُحرِمة، ولا تلبَس القفازين) «رواه البخاري»

[**النقاب**: هو غطاء الوجه الذي تشدُه المرأة على وجهها].

[**القفازين**: ما تغطي المرأة بهما كفيها ويُسمى بالكفوف].

ومفهوم الحديث: أن المرأة غير المحرمة تضع النقاب على وجهها وتلبس القفازين في يدها.

الحجاب تكريم وحفظ للمرأة

١ ـ لقد كرَّم الإسلام المرأة، وفرض عليها الحجاب ليحفظها من الأشرار وأعين الناس، ويحفظ المجتمع من سفورها.

٢ـ الحجاب يُبقي المودة بين الزوجين، فالرجل عندما يرى امرأة أجمل من امرأته تسوء العلاقة بينهما، وربما يؤدي ذلك إلى الفراق والطلاق، بسبب هذه المرأة السافرة التي فتنت الزوج، فلم يعد تُعجبه زوجته.

٣ـ المرأة المسلمة في نظر الإسلام أشبه بالجوهرة النفيسة التي يسعى صاحبها لإخفائها وسترها عن أعين الناس.

٤ـ تقول المستشرقة [فرانسواز ساجان]:

أيتها المرأة الشرقية، إن الذين ينادون باسمك، ويدعون إلى خلع حجابك ومساواتك بالرجل، إنهم يضحكون عليكِ، فقد ضحكوا علينا من قبلك.

٥ـ ويقول [فون هرمر]: الحجاب هو وسيلة الاحتفاظ بما يجب للمرأة من الاحترام والمكانة الشيء الذي تُغبَط عليه.

حكم تعدد الزوجات في الإسلام

قال الله تعالى:

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَـٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴿٣﴾ ﴾. «النساء: ٣»

يفهم بعض الناس من هذه الآية أنها تبيح تعدد الزوجات للرجل في الحالات الضيقة ومشروط بمرض أو عقم ولو رجع هؤلاء إلى تفسير العلماء لهذه الآية لزال عنهم هذا الفهم الخاطىء.

١ـ قال ابن الجوزي في تفسيره: اختلفوا في تنزيلها وتأويلها:

أ ـ إن القوم كانوا يتزوجون عدداً كثيراً مِن النساء في الجاهلية ولا يتحرجون مِن ترك العدل بينهن، وكانوا يتحرجون في شأن اليتامى، فقيل لهم في هذه الآية: إحذروا مِن ترك العدل بين النساء كما تحذرون مِن تركه في اليتامى.

وهذا المعنى مروي عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، والضحاك، وقتادة، والسدي، ومقاتل.

ب ـ إن معناها وإن خفتم يا أولياء اليتامى أن لا تعدلوا في صدقات اليتامى [أي المهور] إذا نكحتموهن، فانكحوا

سِواهن من الغرائب اللواتي أحل الله لكم، وهذا المعنى مروي عن عائشة رضي الله عنها:

روى البخاري ومسلم عن عروة بن الزبير أنه سأل عائشة عن قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ﴾:

فقالت: يا ابن أُختي هذه اليتيمة تكون في حِجر وليها تُشركه في ماله، ويعجبه مالها وجمالها، فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صَداقها، فيعطيها مثل ما يعطيها غيره، فنُهوا عن ذلك إلاَّ أن يُقسطوا لهن، ويبلغوا أعلى سنتهن في الصداق، فأُمِروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن.

«انظر زاد المسير ج٢/ ٦»

٢ـ قال القرطبي: واتفق كل من يعاني علوم القرآن على أن قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا﴾ الآية:

ليس له مفهوم، [يخالفه] إذ قد أجمع المسلمون على أنه من لم يخف القِسط في اليتامى، له أن ينكح أكثر مِن واحدة: اثنتين، أو ثلاثاً، أو أربعاً، كمَن خاف. «ج٥/ ١٣»

فدل على أن الآية نزلت جواباً لمن خاف ذلك، وأن حكمها أعمُّ من ذلك.

٣ـ أما معنى قول تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ الآية:

فقال الشوكاني في تفسيرها:

والمعنى: فإن خفتم أن لا تعدلوا بين الزوجات في القَسْم ونحوه، فانكحوا واحدة، وفيه المنع مِن الزيادة على الواحدة لمن خاف ذلك.

﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾:

يجوز للرجل نكاح ما ملكت يمينه بدون تحديد.

﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾ ﴾:

والمعنى: وإن خفتم عدم العدل بين الزوجات فهذه التي أُمرتم بها أقرب إلى عدم الجور. [أي الظلم].

«انظر فتح القدير ج١/ ٤٢١»

ومفهوم العدل في القرآن وهو العدل في النفقة والمبيت، بحيث ينفق على كل واحدة مثل ما ينفق على الأُخرى، وأن يعدل في المبيت بحيث يبيت عند كل واحدة ليلة أو أكثر حسب الاتفاق؛ أما الحب القلبي، والجماع فلا يملكه الإنسان، لذلك قال الله تعالى:

﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا۟

وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ . «النساء: ١٢٩»

قال الإمام الشوكاني في تفسير هذه الآية:

أخبر سبحانه بنفي استطاعة الرجال للعدل بين النساء، على الوجه الذي لا ميل فيه البتة لما جُبِلَتْ عليه الطباع البشرية من ميل النفس إلى هذه دون هذه، وزيادة هذه في المحبة، ونقصان هذه، وذلك بحكم الخِلْقة، بحيث لا يملكون قلوبهم، ولا يستطيعون توقيف أنفسهم على التسوية، ولهذا قالت عائشة:

كان النبي ﷺ يَقسِم بين نسائه فيعدل، ثم يقول:

(اللَّهم هذا قَسْمي فيما أملك، فلا تلُمني فيماتملك ولاأملك)

[يعني القلب] «إسناده ضعيف ، لكن معناه صحيح »

[أقول: لكن ضعفه الألباني في الإرواء].

ولما كانوا لا يستطيعون ذلك ولو حرصوا عليه وبالغوا فيه نهاهم الله عز وجل أن يميلوا كل الميل، لأن ترك ذلك وتجنب الجَور كل الجَور في وُسعهم وداخل تحت طاقتهم، فلا يجوز لهم أن يميلوا عن إحداهن إلى الأُخرى كل الميل، حتى يذوروا الأُخرى كالمُعَلقة التي ليست ذات زوج ولا مطلقة تشبيهاً بالشيء الذي هو مُعَلَّق غير مستقر على شيء.

﴿ وَإِن تُصۡلِحُواْ ﴾ : أي ما أفسدتم من الأمور التي تركتم ما يجب عليكم فيها عِشرة النساء والعدل بينهن .
﴿ وَتَتَّقُواْ ﴾ كل الميل الذي نُهيتم عنه
﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٢٩ ﴾ :
لا يؤاخذكم بما فرط منكم . «انظر فتح القدير ج١ / ٥٢١»

٤ـ وقال الحافظ ابن كثير في تفسير الآية : أي لن تستطيعوا أيها الناس أن تساووا بين النساء من جميع الوجوه، فإنه وإن وقع القَسْم الصوري ليلة وليلة، فلابُدَّ من التفاوت في المحبة والشهوة والجماع .



تعدد الزوجات تكريم للمرأة

١ـ إن الإسلام الحكيم الذي أباح تعدد الزوجات، هو في مصلحة النساء قبل الرجال، حتى يكفل للبنات والأرامل العيش السعيد في بيوت أزواجهن، بدلاً من أن يكن عالة في بيوت من يعولهن كالأخ والولد، وغيرهما.

٢ـ إن الدعوة إلى عدم تعدد الزوجات يسبب قلة النسل الذي يسعى إليه أعداء الإسلام لتقليل عددهم، والسيطرة عليهم، كما أنه يسبب كثرة العوانس في البيوت مما يعرضهن للفتنة والفساد والزنا، لأن النساء أكثر عدداً من الرجال حسب الإحصاء، ولا سيما حينما يتعرض الرجال للقتل في المعارك والحروب ولذلك قامت مظاهرة نسائية في ألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى تطالب بتعدد الزوجات.

٣ـ إن تعدد الزوجات يوافق هذا الزمن، لأن الأُمم يُنظر إليها بعدد نفوسها، وكلما ازداد عددهم قويت شوكتهم، وبما أن الحروب في فلسطين والعراق والبوسنة والهرسك وكشمير وأفغانستان وغيرها من البلاد الإسلامية سببت قلة الرجال، وكثرة الأرامل اللواتي فقدن أزواجهن، فإن الإسلام يريد من المسلمين أن لا يتركوا هؤلاء للجوع والفتنة والفساد فأذن بتعدد الزوجات.

٤ـ تقول الزعيمة العالمية [أني بيزانت] :
متى وزنا الأمور بقسطاس العدل المستقيم ظهر لنا أن تعدد الزوجات الإسلامي أرجح وزنا من البغاء الغربي الذي يسمح أن يتخذ الرجل امرأة لمحض إشباع شهوته، ثم يقذف به إلى الشارع متى قضى منها أوطاره.

أقول: شهادة امرأة كافرة على حسن تعدد الزوجات:
والفضل ماشهدت به الأعداء.

٥ـ معظم المطلقات يفضلن تعدد الزوجات على الطلاق.

٦ـ كل النساء يتمنين أن يكون لهم أولاد يتمتعون بهم، ولا يتم ذلك إلاَّبالزواج من أزواج عندهم زوجات.



العفو والمسامحة

١ـ هذه من أعظم الأمور التي يكسب المرء قلب أعدائه، فضلاً عن كسب قلب زوجته وشريكة حياته: قال الله تعالى:

أ ـ ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾. «فصلت: ٣٤»

إذا أحسنت إلى من أساء إليك قادته تلك الحسنة إلى مصافاتك ومحبتك، والحنو عليك، حتى يصير كأنه ولي لك حميم: أي قريب إليك من الشفقة عليك والإحسان إليك.

«ذكره ابن كثير»

ب ـ ولقد كان النبي ﷺ مع زوجاته وسائر أهله مثالاً للأخلاق الحسنة، في حسن المعاشرة، والعفو والمسامحة ما لم تُنتَهك حرمات الله.

كان النبي ﷺ عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أُمهات المؤمنين بصَحفة فيها طعام، فضربت التي النبي ﷺ في بيتها يد الخادم، فسقطت الصحفة فانفلقت، فجمع النبي فلق الصحفة، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة ويقول: (**غارَتْ أُمكم**)، ثم حبس الخادم، حتى أُتي بصحفة من عند التي هو في بيتها، فدفع الصحفة الصحيحة إلى التي

كُسِرت صحفتها، وأمسك المكسورة في بيت التي كَسَرَت.
[الصحفة: إناء واسع] «رواه البخاري»
وقد روى النسائي (أن التي كان النبي ﷺ في بيتها هي أُم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وأن التي كُسِرت صَحفتها هي أُم سلمة رضي الله عنها). «صححه الألباني»
في هذه الحادثةلم يغضب النبي، ولم يضرب، ولم يُقبح، ولم يُضيع حَق التي كُسِرت صحفتها، بل قام يجمع الطعام بيده، ويُعلِّق على الحادث بقوله: (**غارَتْ أُمكم**) «رواه البخاري»
ثم أخذ صحفة صحيحة من بيت زوجه عائشة التي تعدَّتْ على الصحفة بالكسر، ودفعَها مع الخادم إلى بيت أُم سلَمة التي كُسِرت صحفتها، ليعلمنا العدل حتى في موطن المزاح ويعلمنا الصبر، والتحمل، فعلينا أن نقتدي به، ونعامل الزوجات بالعفو، والإحسان مهما كان السبب، حتى تبقى المودة بين الزوج وزوجته، ونعامل الناس بالتي هي أحسن، عملاً بالآية التي مرت في أول البحث:
﴿ وَلَا تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ «فصلت»

المرأة سلاح ذو حدين

١ـ لقد حاول أعداء الإسلام في كل عصر من العصور إبعاد المسلمين عن دينهم بوسائل متعددة لا تحصى، وكانت إحدى أهم هذه الوسائل المستهدفة هي المرأة المسلمة، لأنها نصف المجتمع، ووالدة النصف الثاني [من الذكور] ومربيته، فبصلاحها يصلح المجتمع، وبفسادها يفسد المجتمع وينحَلُّ، فلذلك نرى أنهم وضعوا كل جهودهم وأفكارهم الشيطانية مستخدمين وسائل الإعلام كالتلفاز، والفيديو، والدش، وغيرها من الوسائل التي وضعوا فيها أفلاماً خليعة تُفسد المرأة المسلمة.

٢ـ وقد استطاع شياطين الغرب بمساعدة شياطين الشرق إفساد المرأة المسلمة، فسلخوهَا مِن حجابها وعِفتها وكرامتها، وأدخلوها جميع ميادين العمل، وجعلوا منها دعايات لتصريف منتجاتهم، فأصبحت المرأة المسلمة بعيدة عن دينها وحجابها، ففسدت الأُسرة وفسد المجتمع بفسادها، فانحجب نصر الله عن هذه الأُمة، ونزل بها سخطه وغضبه، وأصبحنا أذل أُمة بعد أن كنا أعز أُمة، وصدق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حين قال:

(نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، ولو ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله)

٣ـ وكذلك لا ننسى أن انحراف المرأة، والانحراف بالمرأة كان السبب الأول في أن حضارات قديمة انهارت، وتمزقت كل ممزق، ونزل بها العقاب الإلٰهي كالأوجاع والأمراض الفتاكة وغيرها كماوقع لليونان، والرومان الفرس والهنود، وبابل وغيرها من الممالك. «انظر كتاب الحجاب للمودودي»

٤ـ أما في عصرنا الحاضر، فما زلنا نسمع عن البراكين التي هددت سكان إحدى المدن الإيطالية المشهورة بالفساد والدعارة، ونوادي المرأة، وإذا انتقلنا إلى البلاد الإسلامية لرأينا كيف أن غضب الله عز وجل وسخطه قد نزل في هذه البلاد بسبب الفساد والانحلال، وانتشار الزنا والفاحشة؛ فكثرت بسبب ذلك الزلازل، والفتن، وغيرها من أنواع العذاب والهلاك والحروب المُدَمرة، ولن يرفع الله عنها العذاب إلا بالتوبة والرجوع إلى الله.

٥ـ إن المرأة تملك مجموعة من المواهب العظيمة الجديرة بأن تبني أُمة، لو قامت بواجبها في تربية الأولاد الذين يتكوَّن منهم المجتمع، كما أنها تستطيع أن تهدم أُمة إذا فسدت أخلاقها، وتركت الواجبات الملقاة على عاتقها:

لذلك قال رسول الله ﷺ:

(إن الدنيا حُلوة خَضِرة، وإن الله مُستَخلِفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء) «رواه مسلم»

وقال ﷺ: (ما تركت فتنة بعدي في الناس أضرَّ على الرجال من النساء». «رواه البخاري»

٦ـ إن المرأة هي نصف الأُمة، ثم هي تلد لنا النصف الآخر، فهي أُمة بأسرها.



فساد المرأة بالعمل

لقد تفنن أعداء الإسلام في إفساد المرأة المسلمة بوسائل وأساليب عديدة لا يمكن حصرها، وجميعها مخططة ومدروسة لإفساد المرأة المسلمة وسلخِها من دينها وأخلاقها وعفتها، فكانت الأزياء والموديلات المكشوفة إحدى هذه الوسائل الفتاكة، إنهم يعلمون جيداً ميول المرأة إلى اقتناء الفساتين المكشوفة، والذهاب إلى الكوافيرات [مزينة الشعر]، وأدوات الزينة المتنوعة، لفتنة الرجال في المعامل والمصانع والمتاجر التي دخلتها المرأة باسم العمل والتقدم والرقي والحضارة الزائفة

فالمرأة حينما تذهب إلى وظيفتها، فلابُد لها ـ حسب العادة ـ من التزام أنواع الألبسة الجذابة، والموديلات المتعددة، والتسريحات المختلفة، وغيرها من أنواع الزينة التي تتغير وتتبدل؛ وهذا ما يدفعها لصرف مرتبها الشهري لتظهر بمظهر أنيق وجذاب، علماً بأن أكثر الملابس وأنواع الزينة مستوردة من البلاد الأجنبية الموالية للصهيونية لتمدها بالمال للقضاء على المسلمين، فوقع المسلمون في الخسارة المادية، والخسارة الأخلاقية، والتشبه بالكفرة، وصدق فيهم قول الرسول ﷺ:

(ما تركت فتنة بعدي أضرَّ على الرجال من النساء). «متفق عليه»

غياب الرجل عن أهله

١ـ إن وجود الرجل في بيته بقرب أهله مُهِم جداً، ليكون لهم قدوة في أقواله وأفعاله الحسنة، ويسمعون منه التوجيه والتربية المباشرة، وفي وجود الرجل وقاية لأهله من الانحراف في أخلاقهم وتصرفاتهم.

٢ـ إن المسلم مطالب ألا يغيب عن أهله كثيراً، وإن نابه أمر فليستعجل الرجوع إلى أهله، ذلك لأن بعض الأُسر مافسدت أخلاقها إلا حين غاب عنها الولي الناصح:

قال رسول الله ﷺ: (**السفَر قطعةٌ مِن العذاب يمنع أحدَكم نومه وطعامه وشرابه، فإذا قضى أحدكم نُهمتَه[1] مِن وجهه فليُعجِّل إلى أهله**). «رواه مسلم»

[المعنى: إذا قضى أحدكم حاجته من الجهة التي توجه إليها فليعجل إلى أهله].

قال النووي في شرح الحديث: إن الإنسان مطالب أن يلبي حقوق أهله، ومن حقوقهم أن يكون قريباً منهم، يُطعم جائعهم، ويكسو عاريهم، ويداوي مريضهم، ويؤدب مُخطِئهم.

---

(١) [نُهمتَه: أي حاجته] [مِن وجهه: أي مِن جهة توجَّه إليها لقضاء حاجته]

وعليه إن ألمَّت به حاجة للسفر أن يؤوب حين انتهائه امتثالاً لأمر النبي ﷺ.

٣ـ من السنة أن يصلي ركعتين في المسجد قبل أن يدخل المسافر بيته، كما كان النبي ﷺ يفعل ذلك عند رجوعه من السفر إلى بيته.

أقول: إن غياب الرجل عن بيته مدة طويلة قد يسبب فساد زوجته، لأن المرأة في حاجة لزوجها.

٤ـ **(نهى رسول الله ﷺ أن يَطرق الرَّجُل أهله ليلاً يتخوَّنهم أو يلتمس عثراتهم).** «رواه مسلم»

قال سفيان: لا أدري هذا في الحديث أم لا يعني:

[يتخونهم أو يلتمس عثراتهم]. وقول سفيان هذا رواية مسلم.

ويجوز للمسافر المجيء إلى بيته ليلاً عند الضرورة يستأذن على أهله من الباب الخارجي، ثم يدخل.

* * *

مسؤولية المرأة المسلمة

لقد كرَّمَ الإسلام المرأة وجعلها سيدة في بيت زوجها، وألزمها مسؤولية رعايته، قال رسول الله ﷺ:

(والمرأة راعية في بيت زوجها، وهي مسؤولة عن رعيتها).

«متفق عليه»

ومن هذه المسؤوليات:

١ـ **تربية أولادها التربية الصالحة:** فالمسؤولية الكبرى تقع على عاتق الأُم؛ بحكم وجودها في البيت مع الأولاد، وليس لها أن تعتذر بانشغال الأب، أو غيابه عن البيت؛ فكم من العلماء قد تربَّوا في كنف أُمهات أرامل، وكانوا أيتامًا صغارًا كالإمام أحمد ابن حنبل، والإمام سفيان الثوري الذي كفته أمه بمِغزلها. فمَن يدري؟ فلعل هذا الطفل الذي تربيه أُمه يكون له مستقبل عظيم، فقد يكون رئيس دولة، أو قائد جيش، أو أي عمل كبير يتوقف عليه صلاح المجتمع بأكمله، ولهذا قال أحد الحكماء:

إن المرأة التي تهز السرير لطفلها بيمينها، تهز العالمَ بيسارها:

وهناك مثل يقول: (وراء كل رَجلٍ عظيم امرأة)

وصدق الشاعر حين قال:

الأُم مدرســة إذا أعدَدْتَهـا: أعددتَ شعباً طيّب الأعراق

فعمل المرأة في بيتها مُهِم جداً إذا قامت بتربية أولادها التربية الصالحة وهو عمل فطري عند المرأة تميل إليه، وتحب القيام به

٢ـ **تدبير المنزل**: المرأة هي سيدة بيتها، فهي مسؤولة عنه، تصنع أطيب الطعام بأقل التكاليف، وتخيط أجمل الثياب بأبسط الأشياء، وتُعلم بناتها ذلك، ولا تُسرف في إعداد الطعام والشراب، والملبسَ، وجميع شؤون البيت، ولا تُلزم زوجها وتُكلفهُ مالا يطيق، فلا تكون سببًا في لجوء زوجها إلى المال الحرام كالرشوة، والغش، أو لأن يعمل عملاً آخر يسبب غيابه عن البيت طويلاً، ولا يشاركها في تربية الأولاد. فكان نساء الصحابة يقولون لأزواجهم:

إنَّا نصبر على الجوع ولا نصبر على الحرام.

وعليها أن تسعى لتحسين بيتها، وتهيئة جميع الوسائل لجعله مأوى يأوي إليه الزوج فينسى أتعابه، وقد قدَّم لزوجته ما يحتاج إليه البيت من نفقات متعددة، وأراحها من عناء طلب الرزق الذي لا تستطيعه المرأة.

فالرجل عليه مسؤولية، والمرأة عليها مسؤولية، كل حسب اختصاصه وفطرته وميوله.

عمل المرأة خارج البيت

لقد كان لعمل المرأة خارج بيتها نتائج سيئة على نفسها وأُسرتها والمجتمع ومنها:

١ـ مزاحمة الرجال يومياً في الحافلات والعمل، وقد تتعرض للإرهاق والتعب، والخطورة أحياناً بسبب الازدحام والعمل، فيفقدها بعض أنوثتها وجمالها، وخجلها، وهي من أَهَمِّ مقومات المرأة في نظر الرجل.

٢ـ إن عمل المرأة خارج البيت يشغلها عن واجباتها المنزلية، وتربية أولادها، وقد يستاء الرجل من إهمالها، فيضطر إلى طلاقها وفراقها. [أو إلى الزواج من غيرها].

٣ـ قد يسبب العمل طلاقها، وهدم أُسرتها، وتشتيت أولادها بسبب علاقتها مع رجل في العمل، لأن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، ولاسيما إذا خرجت متزينة.

٤ـ إن عمل المرأة يسبب فراقها لأولادها مما يفقدهم عاطفتها وتربيتها لهم، وقد يسبب انحرافهم وشذوذهم مما يدفعهم إلى الجرائم، كما أوضحت تلك النتائج في المجتمعات.

٥ـ ومن النتائج السيئة أن الوظيفة قد تقضي على الطفل:

فهذه موظفة حان وقت دوامها، وولدها مريض، وهو ينادي

أُمُّه: أُماه أُماه: إلى مَن تتركيني وحدي في البيت؟
ولكن الأُم كانت مضطرة للالتحاق بعملها فتركته وهو يقول: أمي، أمي، بصوت خافت!!.
وحينما عادت الأُم إلى البيت وجدت ولدها جثة هامدة قد فارق الحياة، وحزنت وبكت على طفلها، وندمت على فعلها حيث لا ينفع الندم، وقالت في نفسها:
ما هي الفائدة من هذه الوظيفة، بل ما الفائدة من المال الذي يكون سبباً في موت طفلي، وهو أعزُّ ما يملكه الإنسان.



عمل المرأة سبب البطالة

١ـ لقد دخلت المرأة جميع ميادين العمل في المجتمعات الغربية، فكثرت البطالة في تلك المجتمعات بشكل متفاقم، مما تعسر على علماء الاقتصاد إيجاد حلول لتخفيف حدة البطالة، أو توقيف زيادتها على الأقل، وكان السبب الرئيسي والمباشر للبطالة في تلك المجتمعات هو دخول المرأة جميع ميادين العمل دون استثناء: مزاحمة الرجال في الدوائر الحكومية والشركات، والمصانع، وغيرها من الوظائف.

٢ـ إن الأزمات الاقتصادية التي أصابت المجتمعات الغربية جعلها تُسَرّح عدداً كبيراً من الموظفين والعمال، وأول ما وقع عليه التسريح هم الرجال، لأن أصحاب الشركات والمصانع والمحلات التجارية وغيرها يفضلون الاحتفاظ بالمرأة على الرجل لما للمرأة من جاذبية وأنوثة وإغراء لجلب الزبائن والحلفاء.

٣ـ ومن المؤسف أن تحذو البلاد العربية والإسلامية حذو المجتمعات الغربية فتدخل المرأة ميادين العمل في دوائر الحكومة، حتى المحاماة، وكثيراً ما تدخل في الشركات، والمؤسسات الخاصة والعامة، وحتى المعامل، مما سبب

البطالة للرجال الذين عليهم مسؤولية الإنفاق على أُسرتهم، وتدهورت الأخلاق، وانتشرت الفاحشة في تلك الأماكن التي اختلط فيها الرجال والنساء، وساءت العلاقة بين الزوج وزوجته نتيجة هذا الاختلاط.





خطر الاختلاط في المدارس

إن اختلاط الرجال بالنساء ولا سيما في المدارس له خطر عظيم على الرجل والمرأة، وعلى الطلاب والطالبات.

١ـ كانت إحدى كليات الزراعة في بلد عربي إسلامي تجري تجارب لطلابها وطالباتها في المزرعة، فكان أحد الطلاب يذهب بطالبة إلى أماكن الحمامات، ليختلي بها في الحمام بعد أن ترك التجارب الزراعية، وقد رآه حارس المزرعة يدخل الحمام مع زميلته، وهذه السمعة السيئة تؤثر على الطالبة أكثر من الطالب.

٢ـ كثيراً ما يجتمع المدرسون والمدرسات في غرفة واحدة، ويحصل المزاح، وتتبادل الضحكات، فيكون الفساد، وتتغير نفسية الزوج على وزجته، فلم تعد تعجبه، لأنه رأى أجمل منها، وكانت المشاكل بين الزوجين التي تؤدي إلى الطلاق، والسبب في هذا الفراق هذه المُدرِّسة السافرة التي جلست مع المدرس فأفسدته.

٣ـ حتى الأطفال الصغار الذين كانوا يتعلمون عند المعلمة، ثم انتقلوا إلى الصف الذي يعلمهم فيه معلم كانوا يتحدثون لمعلمهم عن مشاكلهم مع المعلمة؛ وأن أحد الطلبة كان ينظر

إلى فخذ المعلمة عندما تنحني نحو الأرض.

٤ـ لقد حمى الله البلاد السعودية من هذا الاختلاط الضار في جميع مراحل التعليم، فكانت الطالبة السعودية أكثر التزاماً بالحجاب والأخلاق من غيرها.

٥ـ على المرأة السعودية أن تحافظ على حجابها، ولا سيَّما عند خروجها من بلادها لتكون أُسوةٌ حسنة للنساء في البلاد العربية والإسلامية.

ومن المؤسف أن المرأة الكافرة حينما تأتي بلاد المسلمين، فلا تغيِّر من سفورها ولباسها، لتفتن الشباب المسلم، وتدعو المسلمات إلى تقليدها.



خطر اختلاط الرجال بالنساء

قال الله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ . «يوسف : ٢٤»

اختلف المفسرون في هَمِّ يوسف بها على أقوال :

الأول : أنه كان من جنس همها، فلولا أن الله تعالى عصمه لفعل .

الثاني : أنها هَمَّت به أن يفترشها، وهَمَّ بها، أي : تمناها أن تكون له زوجة .

الثالث : أن في الكلام تقديماً وتأخيراً : ولقد هَمَّت به، ولولا أن رأى برهان ربه لهَمَّ بها فلما رأى البرهان لم يقع منه الهَمُّ، فقدم جواب [لولا] عليها، كما يقال :
قد كنتَ من الهالكين، لولا أن فلاناً خلَّصك .

الرابع : أنه هَمَّ أن يضربها ويدفعها عن نفسه، فكان البرهان الذي رآه من ربه أن الله أوقع في نفسه أنه إن ضربها كان ضربه إياها حجة عليه، لأنها تقول : راودني فمنعتُه فضَرَبَني .
[ذكره ابن الأنباري] «انظر زاد المسير لابن الجوزي، ج٤/ ٢٠٣»

أقول : اختار هذا القول الأخير الشيخ محمد رشيد رضا في تفسير

المنار، واختاره أبوبكر الجزائري حين قال:

[ولقد همَّت به، وهَمَّ بها لولا أن رأى برهان ربه].

أي هَمَّت بضربه لامتناعه عن إجابتها لطلبها بعد مراودات طالت مدتها، وهَمَّ هو بضربها دفعاً لها عن نفسه، إلاَّ أنه أراه الله برهاناً في نفسه، فلم يضربها(١)، وآثر الفرار إلى خارج البيت، ولحقته تجري وراءه لِتَرُدَّه. «انظر ايسر التفاسير ٢/ ٣٩١»

١ـ هذا القول هو الذي دل عليه السياق وهو الآية التي قبلها:

﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ﴾. «يوسف: ٢٣»

فالمراودة: وهي طلب المرأة من يوسف أن يواقعها بعد تغلق الأبواب قد حصلت، وقد قالت له: أقبِل إليَّ فإني أُحب مضاجعتك! فكان جواب يوسف:

﴿مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ «يوسف: ٢٣»

---

(١) أقول: لذلك وجب الوقف على قوله: ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ﴾.
ثم يبتدي بقوله: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ﴾:
ليفهم القارئُ أن الهَمَّ لم يقع من يوسف.

فكان هذا الرَّد الحاسم من يوسف صفعاً لها، ومُخَيباً لآمالها، ومخالفاً لأمرها، ولا سيِّما وأنها السيدة امرأة العزيز، ويوسف فتىً عندها وخادم لها، فلذلك همَّت به أن تضربه تأديباً له، لعله يستجيب بهذا الضرب إلى طلبها، بعد أن امتنع عن طلبها بالقول اللين، والعبارات المغرية.

٢ـ أما اللحاق: وهي الآية التي بعدها، وهي قول الله تعالى:

﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ﴾ «يوسف: ٢٤»

فالله قد صرف عنه السوء وهو الضرب الذي لو فعله لَلَحِق به مايُسيء إليه، وهو إلصاق التهمة به، وقد صرف الله عنه الفحشاء: وهو الزنى بامرأة العزيز، وعلل ذلك قوله:

﴿ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾. «يوسف: ٢٤»

فيوسف عليه السلام من عباد الله الذين استخلصهم، واصطفاهم لرسالته، وعصمهم من السوء والفحشاء، فلا يمكن أن يقع يوسف في السوء والفحشاء، لأن الله صرف عنه ذلك، فلذلك جاء التعبير بقوله:

﴿ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ﴾

ولم يقل لنصرفه عن السوء والفحشاء، وهذا يرد على القائلين بأن يوسف وقع منه هَمٌّ بامرأة العزيز.

٣ـ ودليل آخر على تفسير الهَمِّ بالضرب : هُوَ هَمُّ يوسف بالهرَب منها تخلصاً منها حينما حاولت ضربه ، وقد لحقته لتمسك به وتأخذه بقوة ، وأمسكت بقميصه من الخلف فشقته ، وذلك قوله تعالى : ﴿ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ ﴾ «يوسف : ٢٥»

«انتهى كلام محمد بن جميل زينو»



ما يستفاد من هذه القصة

١ـ التحذير من اختلاط الخدم والسواقين وغيرهم من الرجال بالنساء، وعدم الدخول عليهن، والخلوة معهن، لئلا يقع من النساء ما وقع لامرأة العزيز، ولا سيما عند غياب صاحب البيت، ومنع النساء من الاختلاط بالأجانب وخاصة العمال في البيوت والسواقين.. إلخ

٢ـ السواقون، والخدم، والمدرسون لا يقاسون بيوسف الذي عصمه الله، فقد يقعون بالفاحشة إلاَّ مَن رحم ربك.

٣ـ تحذير النساء مما وقعت فيه امرأة العزيز من الخيانة الزوجية، وقد وصل خبرها إلى النساء، ورأوها في ضلال مُبين.

٤ـ الاقتداء بيوسف عليه السلام، والابتعاد عن الزنا ومقدماته، ولا سيما للمسلم الذي يُحرِّمُ عليه دينهُ ذلك.

***

شروط عمل المرأة المسلمة

إن الإسلام الذي كرَّم المرأة أحسن تكريم، وسمح لها بالعمل النبيل ضمن أُسرتها ومجتمعها، حتى تكون عنصراً أساسياً وفعالاً في بناء الأُسرة المسلمة والمجتمع المسلم، والدولة المسلمة، فالإسلام لا يمنع المرأة المسلمة منعاً باتاً، بل حدد لها نوعية العمل، مع ما يتناسب وطبيعتها التي فطرها الله عليها، ووضع لعملها شروطاً تحفظ لها كرامتها:

١ـ أن لا تختلط المرأة بالرجال في عملها، فهذا الاختلاط يضر المرأة والرجال.

٢ـ أن يكون العمل بموافقة الزوج أو الأب، أو الأخ، أو مَن هو مسؤول عنها.

٣ـ أن يتناسب العمل مع طبيعتها بعيداً عن الإرهاق والتعب الشديد الشاق.

٤ـ يجب على المرأة أن تعمل في المجالات التي تعود على المجتمع بالنفع والفائدة:

أ ـ في مجال التربية والتعليم: لتستطيع أن تعلم البنات بدلاً من تعليم الرجال لهن.

ب ـ في مجال الطب، والتمريض النسائي حتى تداوي النساء

بدلاً من الأطباء.

ج ـ الخياطة النسائية: لكي تخيط لبنات جنسها فلا يذهبن إلى الخياطين من الرجال.

٥ـ أن لا يأخذ عملها جُل وقتها، وأن تعطي شيئاً من وقتها لأداء واجباتها المنزلية، وتلبية رغبات زوجها، والحرص على تربية أولادها.

٦ـ أن لا تتزين عند خروجها، ولا تضع المساحيق على وجهها، ولا تتعطر، بل تلبس الجلباب الأسود الطويل العريض، وتغطي الوجه عند ملاقاة الرجال.



اختيار الزوج والزوجة

١ـ لا تنظري إلى المال والجاه والجمال، واختاري صاحب الدين لقول الرسول ﷺ:

(إذا أتاكم مَن ترضون خُلُقه ودِينه فزوِّجوه، إلَّا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض). «حسن رواه الترمذي وغيره»

٢ـ إذا أحبك الزوج صاحب الخلُق والدين فسيكون لك عوناً على أمور دينك ودنياك.

٣ـ إذا لم يحبك فهو على الأقل لا يكرهك، ولا يظلمك ولا يحتقرك، فهو يعمل بقوله ﷺ: **(لا يَفرُكَنَّ مؤمن مؤمنة، إن كره منها خُلقاً، رضي منها غيره)** «رواه مسلم»

[لا يَفرُك: لا يُبغض]

٤ـ الزوج المتدين يكون لك عوناً على تربية أولادك التربية الإسلامية

٥ـ سيكون الإسلام هو المرجع الأساسي لحياتكما ترضيان الحكم به، فيحقق لكما سعادة الدنيا والآخرة.

٦ـ الزوج صاحب الدين ينصحك إذا أخطأت، ويبين لك الصواب، فاقبلي منه.

٧ـ الزوج الصالح المتدين يعدل بين زوجاته إذا أراد تعدد الزوجات.

٨ـ على الزوج المسلم أن يختار الزوجة الصالحة المتمسكة

بالدين، المحجبة التي تحفظ بيتها وأُسرتها من الفساد، وتراعي حق الزوج عليها امتثالاً لقول الرسول ﷺ:

(تُنكَح المرأة لأربع: لِمالها، ولِحَسَبها، ولجَمالها، ولِدِينها، فاظفرْ بذاتِ الدِّين تربتْ يداك). «متفق عليه»

والهدي النبوي يبين للزوجين أن العبرة للتقوى والعمل لا للشكل قال رسول الله ﷺ: **(إن الله لا ينظر إلى صُوَركم وأجسامكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم).** «رواه مسلم»

٩ـ على الزوجين أن يقرأ كل منهما دعاء الاستخارة قبل الزواج:

(إذاهَمَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرُك بقُدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدرُ ولا أقدِرُ، وتعلمُ ولا أعلم، وأنت علاَّم الغيوب.

اللهم إن كنتَ تعلم أن هذا الأمر خيرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، فاقدُرْهُ لي، ويَسِّرْهُ لي، ثم بارك لي فيه، وإن كنتَ تعلمُ أن هذا الأمر شرٌّ لي في ديني ومعاشي وعاقبةِ أمري فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدُرْ لي الخير حيث كان ثم رضِّني به) «رواه البخاري»

(قال: ويسمي حاجته) [من زواج أو شركة أو سفر أو غيره]

وهذه الصلاة والدعاء يفعلهما الإنسان لنفسه، كما يشرب

الدواء بنفسه مُوقنًا أن ربه الذي استخاره سَيوجهه للخير، وعلامة الخير تيسُّر أسبابه، واحذر الاستخارة المبتدعة التي تعتمد على المنامات، وحساب اسم الزوجين وغيرهما مما لا أصل له في الدين.





حرية المرأة في اختيار الزوج

لقد كرَّم الإسلام المرأة، وحفظ لها حقها في اختيار الزوج واحترم إرادتها وهذا الموقف من أدق المواقف في حياتها، وأمسِّها بمستقبلها ويتجلى هذا التكريم وهذه الحرية للمرأة فيما يلي:

١ـ **إذن البنت في الزواج**: لقد أعطى الإسلام حق المرأة البكر في اختيار الزوج:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن الجارية يُنكحها أهلها، أتُستأمر أو لا؟

فقال لها رسول الله ﷺ: (نعم تُستأمَر) فقالت: فقلت له: إنها تستحي، فقال رسول الله ﷺ: **(فذلك إذنها، إذا هي سَكتت)**

«رواه البخاري»

٢ـ **البِكر الصغيرة**: يجوز للأب أن يزوج بنته الصغيرة بدون إذنها، قال الحافظ ابن حجر: إذ لا معنى لاستئذان مَن لا تدري ما الإذن؟ ومن يستوي سخطها وسكوتها.

«فتح الباري٩/ ١٩٣»

والدليل من القرآن قول الله تعالى:

﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ «النور: ٣٢»

والأيِّم: الأُنثى التي ليس لها زوج صغيرة كانت أو كبيرة.
والدليل من السنة أن أبابكر زوَّج عائشة رسول الله ﷺ وهي بنت ست سنين، وبنى بها وهي بنت تسع سنين. «متفق عليه»
٣ـ **المرأة البالغة الثيب**: وهي التي تزوجت ثم فارقت زوجها فلا يجوز تزويجها بغير إذنها ورضاها، وإذنها: كلامها،
قال رسول الله ﷺ: (**لا تُنكَح الأيِّم: حتى تُستأمر**) «رواه البخاري»
قال الحافظ ابن حجر: وظاهر الحديث أن الأيِّم:
هي الثيِّب التي فارقت زوجها بموت أو طلاق لمقابلتها بالبكر، وهذا هو الأصل.
والمعنى: لا يعقد عليها حتى يُطلب الأمر منها، وتأمر بذلك.
«فتح الباري٩/ ١٩٢»
قال البغوي: فإن زوَّجها وليُّها بغير إذنها فالنكاح مردود.
وعن خنساء بنت خدام الأنصارية رضي الله عنها:
(أن أباها زوجها وهي ثيِّب، فَكرهت ذلك، فأتَت رسول الله ﷺ، فردَّ نكاحها). «أخرجه البخاري».
٤ـ **البكر البالغة**: لا يجوز لوليها أن يزوجها حتى يأخذ رأيها:
قال رسول الله ﷺ: (**لا تُنكح البكر حتى تُستأذن، ولا الثيب حتى تُستأمر، فقيل له: إن البكر تستحي، فقال: إذنها صماتها وفي رواية: البِكْر يستأذنها أبوها**) «رواه البخاري»

وهذا الاستئذان يشمل الأب وغيره، ممن هو ولي عليها.
وأيضاً فإن الأب ليس له أن يتصرف في مالها إذا كانت بالغة إلاَّ بإذنها:

قال ابن القيم رحمه الله:

معلوم أن إخراج مالها كله بغير رضاها أسهل عليها من تزويجها بمن لاتختاره بغير رضاها. «انظر زاد المعاد/ ج٥/ ٩٩»

[انظر هذا البحث في كتاب: المرأة بين تكريم الإسلام وإهانة الجاهلية]
[للأخ محمد إسماعيل المقدم]



الرسول ﷺ يُكرم البنات

لقد أمر الرسول ﷺ الآباء والمربين بحسن صحبة البنات، والعناية بهن، ورَغَّب في الإحسان إليهن، ورحمتهن:

١ـ قال رسول الله ﷺ: (**مَن عال**[1] **جاريتين حتى تبلُغا**[2] **جاء يوم القيامة أنا وهو** ـ وضمَّ أصابعه ـ **أي معاً**). «رواه مسلم»

٢ـ وقال ﷺ: (**مَن عال جاريتين حتى يُدركا، دخلتُ أنا وهو الجنة كهاتين**). «رواه مسلم»

٣ـ وقال ﷺ: (**مَن كان له ثلاثُ بنات فصبرَ عليهن، وأطعمهن، وسقاهن، وكساهن مِن جدته** ـ [يعني ماله] ـ **كُنَّ له حجاباً من النار**). «صححه الألباني في صحيح الجامع».

٤ـ وقال ﷺ: (**من ابتُلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن، كُن له سِتراً من النار**). «متفق عليه»

---

(١) عال: قام بمؤونة بنتين، وأنفق عليهما.

(٢) حتى تبلغا: أي: تتزوجا، قال القرطبي: أي إلى أن تستقلا بأنفسهما، وذلك أن يُدخَل بهن، ولا يعني بلوغ المحيض، إذ قد تتزوج قبل ذلك، وقد تبلغ غير مستقلة بنفسها، ولو تُركت لضاعت، ولذا لا تسقط نفقتها عن الأب بالبلوغ، بل بالدخول بها [أي بالزواج].

قوله ﷺ: (بشيء) يصدق على البنت الواحدة.

٥ـ وعن عائشة رضي الله عنها قالت:

(جاءت مسكينة تحمل ابنتين لها، فأطعمتُها ثلاث تمرات، فأعطت كل واحدة تمرة، ورفعت إلى فيها تمرة لتأكلها، فاستطعَمَتها ابنتاها، فشقتْ التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما، فأعجبني شأنها، فذكرتُ الذي صنعت لرسول الله ﷺ فقال:

(إن الله قد أوجب لها بها الجنة، أو أعتقها بها من النار)

«متفق عليه»

٦ـ وعن عائشة قالت: **(كنتُ ألعبُ بالبنات عند رسول الله ﷺ في بيته وهن اللُّعب، وكان لي صواحب يلعبن معي، وكان رسول الله ﷺ إذا دخل يَنْقمِعْن منه، فيُسرِبُهن إليَّ فيلعبن معي).**

[يَنْقَمِعْن: يستخفين، فيُسر بهن: يُدخلهن] «متفق عليه»

٧ـ عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه قال:

(رأيتُ النبي ﷺ يؤُمُّ الناس، وأُمامة بنت أبي العاص، وهي ابنة زينب بنت رسول الله ﷺ على عاتقه، فإذا ركعَ وضعها، وإذا رفع من السجود أعادها). «رواه مسلم»

القرآن يُكرم الإناث

جاء الإسلام يُكرِّم الإناث، وينهى عن كراهية البنات والحزن لولادتهن، وأن هذا التشاؤم من عمل الجاهلية:

١ـ قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾. «النحل»

إن هذا العمل من ضعف الإيمان وزعزعة اليقين، لكونهم لم يرضوا بما قسم الله لهم من الإناث، ومن الغريب أن بعض المسلمين والمسلمات يكرهون ولادة البنات، ويحبون ولادة البنين، كأنهم لم يسمعوا قول الله عز وجل:

٢ـ ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾.

«الشورى: ٤٩ـ٥٠»

وما سماه الله هبة فهو أولى بالشكر، وبحسن القبول أحرى:

قال واثلة بن الأسقع: إن مِن يُمن المرأة تبكيرها بالأُنثى قبل الذكر، وذلك أن الله تعالى يقول:

﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَـٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴾ «الشورى»

فبدأ بالإناث . «انظر : الجامع لأحكام القرآن»

أقول : والأُم تستفيد من بنتها في مساعدتها أكثر من البنين ولا سيما في البيت .

٣ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما :

(أن رجلاً كان عنده، وله بنات، فتمنى موتَهن، فغضب ابن عمر، فقال : أنت ترزقهن؟) . «رواه البخاري في الأدب المفرد»

٤ـ قال الإمام المحقق ابن قيم الجوزية رحمه الله :

فقسم سبحانه وتعالى حال الزوجين إلى أربعة أقسام اشتمل عليها الوجود، وأخبر أن ما قدَّره بينهما من الولد، فقد وهبهما إياه، وكفى بالعبد تعرضاً لمقته أن يتسخط ما وهبه ـ الله تعالى ـ وبدأ سبحانه وتعالى بذِكر الإناث، فقيل :

جبراً لهن لاستثقال الوالدين لمكانهن، وقيل ـ وهو أحسن ـ : إنما قدمهن للسياق، لأن سياق الكلام أنه فاعل ما يشاء، لا ما يشاء الأبوان، فإن الأبوين لا يريدان إلاَّ الذكور غالباً، وهو سبحانه قد أخبر أنه يخلق مايشاء، فبدأ بذكر النصف الذي يشاء، ولا يريده الأبوان .

وعندي وجه آخر : وهو أنه سبحانه قدَّم ما كانت تؤخره

الجاهلية من أمر البنات، حتى كانوا يئدوهن، أي هذا النوع المؤخر عندكم مُقَدَّم عندي على الذكر، وتأمل كيف نكَّرَ سبحانه الإناث، وعرَّف الذكور، فجبر نقص الأُنوثة بالتقديم وجبر نقص التأخير بالتعريف. «انظر: تحفة المودود ص٢٠-٢١»

٥- وقال ابن القيم: وقد قال الله تعالى في حق النساء:

﴿ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾. «النساء: ١٩»

وهكذا البنات أيضاً قد يكون للعبد فيهن خيرٌ في الدنيا والآخرة، ويكفي في قبح كراهتهن أن يكره ما رضيه الله، وأعطاه عبده. «انظر: تحفة المودود بأحكام المولود ص٢٦»

ولعله من أجل هذا نهى النبي ﷺ عن تهنئة المتزوج بعبارة: (بالرفاء والبنين)، لأن فيها الدعاء له بالبنين دون البنات:

فعن الحسن أن عقيل بن أبي طالب تزوج امرأة من جُشم، فدخل عليه القوم، فقالوا: بالرفاء والبنين، فقال: لا تفعلوا فإن رسول الله ﷺ نهى عن ذلك، قالوا فما نقول يا أبازيد؟ قال: قولوا: **بارك الله لكم، وبارك عليكم**) إنا كذلك كنا نؤمر.

«رواه أحمد وغيره، وهو قوي بمجموع طرقه» «انظر آداب الزفاف للشيخ الألباني ص١٧٦»

كرامة المرأة المسلمة

لقد بلغ من كرامة المرأة المسلمة أنها كانت تجير الخائف، وتفك الأسير، وهذا يدل على احترام المرأة المسلمة غاية الاحترام:

١ـ أجارت أُم هانيء بنت أبي طالب رجلين من أحمائها[1] كُتب عليهما القتل قالت رضي الله عنها:

ذهبت إلى رسول الله ﷺ عام الفتح، فوجدته يغتسل وفاطمة ابنته تستره بثوبه، فسلّمتُ عليه، فقال: (**مَن هذه؟**) فقلت: (أنا أم هانيء بنت أبي طالب)، فقال: (**مرحباً بأم هانيء**) فلما فرغ من غُسْلِه قام فصلى ثماني ركعات ملتحفاً في ثوب واحد، فلما انصرف قلت: يارسول الله، زعم ابن أمي علي: أنه قاتلٌ رجلاً قد أجرتُه[2] فلان بن هبيرة. . فقال رسول الله ﷺ:

(قد أجرنا من أجرتِ يا أُم هانيء)

قالت أُم هانيء: وذلك ضحى. «رواه البخاري»

٢ـ ولما أسرَ المسلمون أباالعاص بن الربيع، وغنموا ماله فيما أسروا وغنموا وكان زوج زينب بنت رسول الله ﷺ، إلاَّ أن

---

(١) أحمائها: جمع حمو، والمراد أبوالزوج ومن كان قبله.

(٢) أجرته: منعت من يريده بسوء وآمنته شره وأذاه.

الإسلام فرَّق بينهما .

استجار أبوالعاص بزينب رضي الله عنها، فوعدته خيراً وانتظرت حتى صلى رسول الله ﷺ الفجر بالمسلمين، ثم وقفت على بابها ـ في المسجد ـ فنادت بأعلى صوتها : إني قد أجرتُ أباالعاص بن الربيع :

فقال رسول الله ﷺ : **(أيها الناس هل سمعتم ما سمعت؟)** قالوا : نعم . قال : **(فو الذي نفسي بيده ما علمت بشيء مما كان حتى سمعت الذي سمعتم، المؤمنون يدٌ على مَن سِواهم، يُجير عليهم أدناهم، وقد أجرنا مَن أجارت)** .

فلما انصرف النبي ﷺ إلى منزله دخلت عليه زينب فسألته أن يرد على أبي العاص ما أُخذ منه، ففعل . وقد عاد أبوالعاص بعد ذلك إلى مكة، فأدى الحقوق إلى أهلها، ثم آب إلى المدينة مسلماً، فرَدَّ عليه رسول الله ﷺ زوجه زينب) .

«انظر سير أعلام النبلاء١/ ٣٣٢، والإصابة٧/ ٤٨»



تحريم قتل النساء

لقد بلغ من تكريم الإسلام للمرأة أنه حرَّم قتلها، وقتل الأطفال والشيوخ في الجهاد إلاَّ أن يقاتلوا، فيُدفعوا بالقتل :

١ـ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا بعث جيشاً قال : (**انطلقوا باسم الله، لا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا طفلاً صغيراً، ولا امرأة، ولا تغلُّوا، وضُموا غنائمكم، وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين**) «حسنه محقق جامع الأصول»

٢ـ وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال : **وُجدت امرأة مقتولة في بعض مغازي رسول الله ﷺ فنهى رسول الله ﷺ عن قتل النساء والصبيان**، وفي رواية: (**فأنكر**). «متفق عليه»

٣ـ وعن رباح بن الربيع رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة، فرأى الناس مجتمعين على شيء، فبعث رجلاً فقال : (**أُنظر عَلام اجتمع هؤلاء؟**) فجاء فقال : على امرأة قتيل، فقال : (**ما كانت هذه لتقاتل**) قال : وعلى المقدمة خالد ابن الوليد، قال : فبعث رجلاً، فقال : (**قل لخالد : لا تقتلن امرأة ولا عسيفاً**) [**العسيف : الأجير**]. «حسنه الألباني في الإرواء

٤ـ وصدق المستشرق الفرنسي حين قال :

ما عرف التاريخ فاتحًا أرحم من العرب [المسلمين].

المحافظة على سمعة المرأة

١ـ لقد بلغ من محافظة الله تعالى على سمعة المرأة المسلمة أنه أنزل في هذا المعنى قرآناً يُتلى إلى يوم القيامة، يُحذر فيه من إشاعة السوء عن المرأة المسلمة، فقال عز وجل:

﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ «النور: ٤»

فجعل الله سبحانه في هذه الآية عقوبة القاذف المتهم للمرأة المسلمة بالزنا جلد ثمانين جلدة، إذا لم يأت بأربعة شهداء، ثم دعَّم هذه العقوبة بعدم قبول شهادته أبداً، ثم وصفه بالفسق الذي يستحقه.

٢ـ لم يكتف الله تعالى سبحانه بهذه العقوبات، بل هدَّدهم بما هو أشد، فقال عز وجل:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ﴾. «النور»

٣ـ قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ﴾. «سورة النور»

* * *

هذه عشر آيات كلها نزلت في شأن عائشة أُمِّ المؤمنين حين رماها أهل الإفك والبهتان من المنافقين بما قالوه من الكذب البحت والفِرية التي غار الله عز وجل لها ولنبيه ﷺ فأنزل الله تعالى براءتها صيانة لعرض الرسول ﷺ. «انظر تفسير ابن كثير»



الوحي ينتصر للمرأة

كان الوحي ينتصر للمرأة إنصافاً لها، وانتصاراً لحقها، بل أنزل سورة خاصة بها سماها سورة المجادلة:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: تبارك الذي أوعى سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة، ويخفى عليَّ بعضه وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وهي تقول:

(يارسول الله، أكل مالي، وأفنى شبابي، ونَثَرْتُ له بطني، حتى إذا كَبِرَتْ سِني، وانقطع ولدي ظاهَرَ مني[١] !!!
(اللَّهم إني أشكو إليك).

قالت: فما برحتْ حتى جاء جبريل بهذه الآية:

﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ «المجادلة: ١»

«رواه البخاري تعليقاً، وغيره»

لقد نزل الوحي مؤيداً لهذه المرأة الصالحة التي شكت أمرها إلى الله وجادَلتْ النبي ﷺ في زوجها، وما جرى معها، فاستجاب الله شكواها من فوق سبع سماوات؛ وهذه عادة المرأة المسلمة إذا أصابها شيء شكت أمرها إلى الله، ودعت الله وحده، ولم تدعُ

---

(١) أي قال لها: أنتِ علَيَّ كظهر أُمي يريد تحريمها عليه.

غيره، وبعض النساء في عصرنا الحاضر، إذا أصابها شيء التجأت إلى الأولياء تدعوهم، مع أنهم أموات لا يسمعون، ولا يستطيعون أن يفعلوا شيئاً، فهم بحاجة إلى الدعاء: قال الله تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ۝٢٠ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ۝٢١ ﴾ «النحل»

ودعاء غير الله من الأموات أو الغائبين مِن الشرك الذي يحبط العمل: قال الله تعالى:

﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدٗا ۝٢٠ ﴾ «الجن: ٢٠»

وقوله تعالى: ﴿ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٦٥ ﴾. «الزمر: ٦٥»

وبعض النساء يذهبن إلى السحرة والكهنة والعرافين الذين قال الرسول ﷺ فيهم:

(مَن أتى كاهناً أو عَرافاً فصدَّقه بمايقول فقد كفر بما أُنزل على محمد). «رواه أحمد وصححه الألباني»

وقال ﷺ: **(من أتى عَرافاً، فسأله عن شيء لم تُقبل له صلاة أربعين ليلة).** «رواه مسلم»

العمل بمشورة النساء الصالحات

١ ـ جاء الملك جبريل إلى رسول الله ﷺ في غار حراء فقال:
﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ ﴾ «العلق»
فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤداه، فدخل على خديجة بنت خويلد، وأخبرها الخبر: **(لقد خشيتُ على نفسي)**[١] فقالت خديجة: كلا والله ما يُخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحِم، وتَحمل الكَلَّ[٢] وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتُعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة إلى ورقة بن نوفل[٣] فقالت له خديجة يا ابن عم: اسمع من ابن أخيك، فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة:
هذا الناموس[٤] الذي نزَّل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعاً [شابًا]ليتني أكون حياًإذ يُخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ:
(أَوَ مُخْرِجِيَّ هُم؟) قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت

---

(١) خشيت على نفسي من المرض أوالموت.
(٢) الكَلّ: الضعيف الذي لا يستقل بأمره.
(٣) ورقة بن نوفل: كان على دين المسيح قبل أن يُبدل.
(٤) الناموس: صاحب السر وهو جبريل عليه السلام.

به إلاَّ عودي، وإن يدركني يومك أنصُرْكَ نَصْراً مُؤَزَّراً.

«رواه البخاري في كتاب بدء الوحي»

فأنت ترى أن خديجة شجعت الرسول ﷺ على الاستمرار في الدعوة، وأن الله لا يتخلَّى عنه لِما تعلم مِن الصفات الحسنة التي كان يتصف بها الرسول ﷺ مثل مساعدة الضعيف والفقير وإكرام الضيف، ومعاونة أصحاب النوازل والمصائب

قال ابن حجر: وفي هذه القصة مِن الفوائد:

أ - استحباب تأنيس مَن نزل له أمر بذكر تيسيره عليه، وتهوينه لديه.

ب - أن مَن نزل به أمر استُحب له أن يُطلع عليه مَن يثق بنصيحته، وصحة رأيه. «فتح الباري ١/ ٢٥»

أقول: حتى ولو كانت امرأة فما بالك بخديجة، فهذا من تكريم الإسلام للمرأة.

٢- **الشروط في عمرة القضاء**: فلما فرغ الرسول ﷺ من قضية الكتاب [بينه وبين المشركين أن لايدخلوا مكة عزم على التحلل]:

قال ﷺ لأصحابه: (**قوموا فانحروا، ثم احلقوا**) قال:

فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم

يقم منهم أحد دخل على أُم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أُم سَلَمة: يا نبي الله أتحبُّ ذلك؟ أُخرُج، ثم لا تُكلّم أحداً منهم حتى تنحر بُدْنَكَ، وتدعو حالقك فيحلقك؛ فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك: نحر بُدْنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً، حتى كاد يقتل بعضهم بعضاً غماً. «رواه البخاري»

أ ـ **والقصة دليل على أن المرأة الصالحة تُستَشار في شؤون الأُمة**، ويُعمل برأيها في القضايا المهمة، وتدل على وفور عقل أُم المؤمنين أُم سلمة وصواب رأيها، حيث نفذ الرسول ﷺ اقتراحها، وانتهت المشكلة.

ب ـ **والقصتان السابقتان**: خديجة وأُم سلَمة، ومشورة الرسول ﷺ لهما في أمور هامة حصلت له يدُل على احترام الإسلام للمرأة، ويُبطل القول المنسوب إلى الخليفة عمر: (شاوروهن وخالفوهن) ومعاذ الله أن يخالف عُمَر عمل الرسول ﷺ، ويخالف القرآن القائل:

﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾. «الشورى: ٣٨»

موقف المسلمة من الدين

١ـ إن المسلم رجلاً كان أو امرأة، حينما أعلن كل واحد منهما ولاءه لله عز وجل ورضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً كان على كل واحد منهما أن يعطي الثقة التامة والكاملة للتعاليم الإسلامية، لأنها ربانية جاءت لسعادة الرجل والمرأة في الدنيا والآخرة:

قال الله تعالى:

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ . «النور: ٥١»

٢ـ فلابُدَّ للمرأة المسلمة أن تُذعِنَ لتعاليم الإسلام وأحكامه التي جاءت لعزتها وكرامتها، وإنصافها في جميع حقوقها مع الرجل وما يتناسب مع فطرتها، وطبيعتها التي فطرها الله عليها، وهو أعلم بخلقها:

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ . «الملك: ١٤»

فإن هي سمعت وأطاعت أمرَ الله وأمرَ رسوله كانت من الفائزين في الدنيا والآخرة.

وقد أشار القرآن إلى موقف المرأة المسلمة من الدين، فقال:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ

لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ . «الأحزاب : ٣٦»

وقد توعد الله تعالى من خالف أمر رسوله ﷺ فقال :

﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ . «النور : ٦٣»

قال ابن كثير : (فليحذر وليخشَ مَن خالف شريعة الرسول ﷺ باطناً وظاهراً :

﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ : أي في قلوبهم مِن كفر أو نفاق أو بدعة .

﴿أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ أي في الدنيا بقتل أو حدٍّ، أو حبسٍ أو نحو ذلك) .

* * *

وصية امرأة لابنتها

قالت امرأة تزف ابنتها إلى الملك الحارث بن عمرو الكندي:
أي بُنية إن الوصية لو كانت تُترك لفضل أدب أو مَكْرُمة نَسَب لتركتُ ذلك معك، ولكنها تذكرة للعاقل، ومُنبهة للغافل:
أي بُنيَّة: لو استغنَتْ ابنة عن زوجٍ لِغنى أبويها، لكُنتِ أغنى الناس عنه، لَكِنَّا خُلِقنا للرجال، كما خُلق الرجال لنا:
أي بُنية: إنكِ فارقت الوطن الذي منه خرجت، والعش الذي به درجتِ إلى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، أصبح بملكه إياكِ مَلِكاً عليك، فكوني له أَمَةً يكُن لكِ عبداً، واحفظي له عشر خصال يَكُن لكِ ذُخراً:

١ـ الصحبة بالقناعة: فإن في القناعة راحة القلب.
٢ـ المعاشرة بحسن السمع والطاعة: فإن فيهما رضا الرب.
٣ـ التعهد لموضع عينيه والتفقد لموضع أنفه: فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم أنفه منك إلاَّ أطيب ريح.
٤ـ الكحل والماء: واعلمي أن الكحل أحسن الموجود، وأن الماء أطيب الطيب المفقود.
٥ـ التعهد لوقت طعامه: فإن حرارة الجوع مُلهبة.
٦ـ الهدوء عند منامه: فإن تنغيص النوم مغضبة.

٧ـ الاحتفاظ ببيته وماله : فإن حفظ المال مِن حُسن التقدير .

٨ـ الرعاية لحَشَمه وعياله : فإن الرعاية على الحشَم والعيال من حسن التدبير .

٩ـ ألا تفشي له سراً : فإن أفشَيتِ له سِراً لم تأمني غدره .

١٠ـ ألا تعصي له أمراً : فإن عَصَيْتِ أمره أوغَرتِ صدره .

وأشد ما تكونين له إعظاماً أشدُّ ما يكون لك إكراماً .

وأكثر ما تكونين له موافقة أحسن ما يكون لك مرافقة ؛ واعلمي أنكِ لا تقدرين على ذلك حتى تُؤثري هواه على هواك ورضاه على رضاك فيما أحببتِ أو كرهت .

وإياك والفرح بين يديه إن كان مهمومًا ، والكآبة بين يديه إن كان فرحًا .



شرط الولي لنكاح المرأة

لقد اشترط الإسلام موافقة ولي أمر المرأة عل نكاحها تكريماً لها وحفاظاً على مستقبلها، وهو أدرى بها من نفسها

١ـ قال الله تعالى: ﴿ وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ ﴾. «النور: ٣٢»

٢ـ قال تعالى عن والد المرأتين اللتين وجدهما موسى على البئر:

﴿ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَـٰتَيْنِ ﴾ «القصص: ٢٧»

فالخطاب في الآيتين للرجال، ولو كان للنساء لذكر ذلك، وهذا مستفاد من قوله تعالى:

﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ ﴾. «النساء: ٣٤»

٣ـ وقال الرسول ﷺ:

(لا نكاح إلَّا بوَليّ، والسلطان وَلِيُّ مَن لا وَليَّ له).

«صحيح رواه أحمد»

٤ـ وقال ﷺ: **(لا نكاح إلَّا بوَلِي، وشاهِدَي عَدل).**

«صححه الألباني في الإرواء»

قال الصنعاني: والحديث دل على أنه لا يصح النكاح إلاَّ بولي، لأن الأصل في النفي نفي الصحة لا الكمال.

«انظر: سبل السلام ٣/ ١١٧»

٥ـ وقال ﷺ: **(أيما امرأةٍ نُكِحت بغير إذن وليها، فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فإن دخل بها فلها المهر بما**

استحل من فرجها، وإن اشتجروا فالسلطان وَليّ مَن لا ولي لها). «صححه الحاكم ووافقه الذهبي»

٦ـ وقال ﷺ: **(لا تُزوِّجُ المرأةُ المرأةَ، ولا تُزوّجُ المرأةُ نفسَها، فإن الزانية هي التي تُزوج نفسها).**

«قال الحافظ في بلوغ المرام: رجاله ثقات، وصحح الألباني الجملة الأولى، وصحح وقف الجملة الأخيرة على أبي هريرة»

إن الشارع الحكيم لما اشترط للزواج موافقة الولي، كان له أهداف عظيمة، وفوائد كثيرة، هي في مصلحة المرأة:

أ ـ قال الشيخ ولي الله الدهلوي رحمه الله في حجة الله البالغة:

وفي اشتراط الولي في النكاح تنويه أمرهم، واستبداد النساء بالنكاح وقاحة منهن، منشؤه قلة الحياء، والتعدي على الأولياء، وعدم الاكثرات بهم.

ب ـ يجب أن يُميَّز النكاح من السفاح بالتشهير، وأحق التشهير أن يحضره أولياؤها. انتهى [التشهير: الإعلان]

أقول: ويشهد لهذا المعنى قول الرسول ﷺ:

(فصلُ ما بين الحلال والحرام ضربُ الدُّفِّ، والصوت في النكاح). «حسنه الترمذي والألباني في الإرواء»

فهذا الحديث يدل على أن الفرق بينَ الحلال وهو الزواج

الشرعي، وبين الزنا وهو الحرام ضرب الدف للبنات لإعلانه، وكذلك الغناء النزيه للبنات أيضاً.

جـ ـ كما أن المرأة لقلة تجربتها في المجتمع ، وعدم معرفتها شؤون الرجال وخفايا أمورهم غير مأمونة حين تستبد لسرعة انخداعها، وسهولة اغترارها بالمظاهر البراقة دون تفكير في العواقب، وقد اشتُرط إذنُ الولي مراعاة لمصالحها، لأنه أبعد نظراً، وأوسع خبرة.

وحكمه موضوعي لادخل فيه للعاطفة أو الهوى، بل يَبنيه على اختيار مَن يكون أحسن عشرة.

د ـ وكيف لا يكون لوليها في زواجها إذن، وهو الذي سيكون شاءت أم أبت، بل شاء أو أبى المرجع في حالة الاختلاف، وفي حالة فشل الزواج يبوء هو بآثار هذا الفشل.

«انظر: كتاب المرأة بين تكريم الإسلام وإهانة الجاهلية»

* * *

واجب الولي نحو المرأة

قال رسول الله ﷺ: (**إذا أتاكم مَن ترضَون خُلقُه، ودينه فزوجوه، إلَّا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض**)

«حسن رواه الترمذي»

١ـ يجب على الولي أن يتقي الله فيمن يزوجها به، وأن يراعي خصال الزوج الصالح، فلا يزوجها ممن ساء خلقه، أو ضعف دينه.

أ ـ قال بعض السلف: من زوجَ كريمته مِن فاجر فقد قطع رَحِمها.

ب ـ وقال رجل للحسن: قد خطب ابنتي جماعة، فَمِمَّن أُزوجها؟ قال: مِمن يتقي الله، فإن أحبها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها.

٢ـ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وإذا رَضيتْ رجلاً، وكان كُفؤاً لها، وجب على وليها كالأب، ثم الأخ، ثم العَم أن يزوجها به، فإن عضلها أو امتنع عن تزويجها زوجها الولي الأبعد منه أو الحاكم بغير إذنه باتفاق العلماء، فليس للولي أن يجبرها على نكاح مَن لا ترضاه، ولا يعضلها عن نكاح مَن ترضاه إذا كان كُفؤاً لها باتفاق الأئمة.

وإنما يُجبرها ويعضلها أهل الجاهلية والظلَمة الذي يزوجون نساءهم لمن يختارونه لغرض، لا لمصلحة المرأة،

ويُكرهونها على ذلك، أويخجلونها حتى تفعل ذلك، ويعضلونها عن نكاح من يكون كفؤاً لها لعداوة أو غرض، وهذا كله من الظلم والعدواة، وهو مما حرمه الله ورسوله، واتفق المسلمون على تحريمه.

وأوجب الله على أولياء النساء أن ينظروا في مصلحة المرأة لا في أهوائهم، فإن هذا من الأمانة التي قال الله تعالى فيها: ﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾. «النساء: ٥٨»

«انظر: مجموع الفتاوي ج٣٢ص٣٨»

٣ـ ويجوز للرجل أن يَعرض بنته أو أُخته على مَن يرى فيه الصلاح فقد عرض عمر بن الخطاب حفصة على عثمان، ثم على أبي بكر، ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحه إياها.

٤ـ وأباح الإسلام أن تَعرض المرأة نفسها على الرجل الصالح ولا سيما إذا لم يكن لها ولي ينوب عنها، فقد خطبت خديجة بنت خويلد رسولَ الله ﷺ قبل البعثة، فكانت خير زوجة له ﷺ ناصرته، وآوته، وأعانته بمالها ونفسها، ولم يعب أحد ذلك، وكان يخطبها كبار قريش وأشرافهم، وكانت تُسمَّى في الجاهلية [الطاهرة] رضي الله عنها.

الخنساء قبل الإسلام وبعده

١ـ لقد أصيبت الخنساء بفقد أخيها (صخر) فجزعت عليه، وحزنت حزناً شديداً وقالت فيه الشعر، وذلك قبل الإسلام.

٢ـ أما بعد الإسلام، فرزقها الله أربعة أولاد خرجوا إلى معركة القادسية فكان مما أوصتهم به قولها:

يا بَني إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، والله الذي لا إله إلاَّ هو، إنكم لبنو رجل واحد، كما أنكم بنو امرأة واحدة، ما هجَّنتُ حسَبكم، وما غيَّرت نسبَكم.

واعلموا أن الدار الآخرة خير من الدار الفانية: اصبروا، واتقوا الله لعلكم تفلحون، فإذا رأيتم الحرب قد شمَّرت عن ساقها، وجلَّلت ناراً على أوراقها، فيمِّموا وطيسَها وجالدوا رَسِيسها تظفروا بالغنيمة والكرامة في دار الخلد والمقامة.

فلما كشَّرت الحرب عن نابها، تدافعوا إليها، وتواقعوا عليها، وكانوا عند ظن أُمهم بهم حتى قُتلوا واحداً بعد واحد.

ولما وافتها النعاة بخبرهم، لم تزد على أن قالت:

الحمدلله الذي شرفني بقتلهم وأرجو من الله أن يجمعني بهم في مستقر الرحمة. «انظر: الإصابة والاستيعاب»

فما أعظم الفرق فى سلوك الخنساء قبل الإسلام وبعده!

الخليفة ينقذ المرأة الضعيفة

١ـ لما خرج مِلك الروم وفعل في بلاد الإسلام ما فعل فقتل مَن بها من الرجال، وسبى الذرية والنساء، ومَثَّل بمَن صار في يده من المسلمين. وسَمَل أعينَهم، وقطع أنوفهم وآذانهم، وبلغ المعتصم أن امرأة هاشمية صاحت وهي أسيرة في أيدي الروم [وامعتصِماه] فأجابها وهو جالس على سريره **لبيكِ** ، **لبيكِ**، ونهض من ساعته، وصاح في قصره **النفير النفير**، ثم ركب دابته، ومعه حقيبة فيها زاده، وجمع العساكر، وأحضر قاضي بغداد، وهو عبدالرحمن بن إسحٰق، وشعبة بن سهل ومعهما ثلاثمائة وثمانية وعشرون رَجلاً مِن أهل العدالة، فأشهدهم على ما وقف من الضِياع:

فجعل ثلثاً لولده، وثُلُثاً لله تعالى، وثُلُثاً لمواليه، ثم سار فعسكر في غربي [دجلة] ومعه جماعة من القواد، حتى انتصر على الروم، بعد قتالهم مدة طويلة.

«انظر: الكامل لابن الأثير ٥/ ٢٤٧»

أقول: لقد بلغ من تكريم الإسلام للمرأة أن سار الخليفة [المعتصم] بجيشه، حينما سمع من امرأة أسيرة مسلمة في بلاد الروم تنادي لينقذها من الكفار، فلبى نداءها، وسار

بنفسه مع جنده حتى يقاتل الكفرة، وينصر المرأة الضعيفة، وهذا يدل على عزة المسلمين، والدفاع عن النساء.

لقد أكبر المسلمون هذا العمل من الخليفة [المعتصم] ولا سيما بعد فتحه [عمورية] وقال فيه الشعراء قصائد تشيد بذلك العمل الطيب والانتصار الباهر.



فتاة أمريكية تعتنق الإسلام

الإسلام هو السبيل الوحيد لإنقاذ وخلاص البشرية :

١ـ [هاجر] : الاسم الجديد [لياميلا] فتاة أمريكية في الثامنة والعشرين من عمرها، طالبة في قسم علم الاجتماع في جامعة ميزوري ـ كولمبيا ـ.

٢ـ بدأتْ قبل سنتين بدراسة الإسلام دراسة جادة متعمقة بحثاً عن الحقيقة التي كانت شغلها الشاغل، والتي لم تجدها كما تقول في الثقافة المادية الأمريكية، وبعد سنتين من الدراسة والبحث والتأمل أعلنت [ياميلا] الإسلام، وغيَّرت اسمها إلى [هاجر] حيث تقول :

إن اسم [هاجر] مُحبَّب إلى نفسي لكونه مرتبطاً بالإسلام .

٣ـ تتحدث [هاجر] عن تجربتها قائلة : منذ مدة طويلة كانت تدور في ذهني تساؤلات عن الكون، والوجود والحياة، وقد أضناني البحث والتفكير عن أجوبة لهذه التساؤلات الفلسفية، ولكن عبثاً لم أجد لها تفسيراً مقنعاً من خلال دراستي في الثقافة الأمريكية المادية، وكنت أسمع بالإسلام، ولكن صورته غامضة في ذهني بل مُشوَّهة، فهو دين يُفرق بين الرجل والمرأة، وقائم على العنف والقسوة، وبقيت جاهلة بحقيقة

الإسلام، حتى بدأت أُدرك نقاء الإسلام وتحديه للقوى المادية، فبدأتُ من حينها أدرس وأبحث عن الإسلام، وكان البحث في البداية شاقاً جداً، فليس هناك كتب أمينة عن الإسلام باللغة الإنجليزية، ولكني منذ البداية شعرت بحب للإسلام، فهو دين عدل وإنصاف، يعطي الفرد حريته، ويُحمِّله مسؤولية أعماله وأفعاله، وهكذا! بمرور الوقت ازددت وعياً وفهماً بالإسلام، وكان أن هداني الله لاعتناق الإسلام.



هاجر تدعو إلى الإسلام

١ـ ومنذ أن أعلنت [هاجر] إسلامها، وهي تعمل بجد ونشاط لنشر الإسلام، فهي ترى أن رسالتها الآن أن تجاهد في سبيل الإسلام، وإبلاغ دعوته للأمريكيين الذين يجهلون حقيقة الإسلام بفعل الصورة المشوهة التي صُوِّر الإسلام بها من خلال أعدائه الحاقدين عليه.

٢ـ لقد غيَّر الإسلام [هاجر] تغييراً شاملاً، فبعد أن كانت تعيش كأية فتاة أمريكية حياة لاهية أصبحت الآن ملتزمة بقواعد ومبادئ الإسلام كما تقول:

إن هدفي الأسمى أن أجاهد في سبيل الإسلام، وأن أحارب الرأسمالية، والطغيان والشر، فبعد تجربتي وجدت أن الإسلام هو الطريق الوحيد لخلاص الإنسانية من خطر الحروب والمجاعة والفناء.

٣ـ وعندما سئلت [هاجر] ولماذا الإسلام بالذات هو السبيل إلى خلاص البشرية؟ أجابت قائلة:

إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يُقدِّم حلولاً لقضايانا الاجتماعية، والسياسية المعاصرة، إنه نظام حياة شامل يوازن بين مطالب الروح، وحاجات الجسد دونما إخلال.

لقد وجدت فيه أجوبة شافية على تساؤلات فلسفية كانت تُقلقني وتَقُضُّ مضجعي.

٤ـ وحين تتحدث هاجر عن الإسلام تشعر بالصدق في كلامها، فهي تعي ما تقول، وأحياناً تنطق بالعبارات الإسلامية باللغة العربية ولكنها في كل الحالات تفهم جيداً أن الإسلام نظام شامل للحياة وليس دين عبادات فقط.

الجهاد في نظرها أهم ما في الإسلام، أو أهم مايحتاج إليه المسلمون في الوقت الحاضر.

٥ـ ومنذ إسلام هاجر، غيَّرت أسلوبَ حياتها، فارتدَتْ اللباس الشرعي، وبدأت تصلي الصلَوات الخمس في أوقاتها، وبذلت جهداً كبيراً في حفظ الآيات من القرآن، لتستطيع تأدية الصَّلَوات.

٦ـ وطبيعي أن تواجه صعوبات كبيرة من زميلاتها وعائلتها، ولكن [هاجر] المسلمة كما تقول:

أستطيب المصاعب في سبيل عقيدتي، وهذا جدير بالنسبة للمسلمين والمسلمات، ولقد سبق أن عُذب الكثيرُ منهم، لكنهم لم يتحولوا، وأنا لن أبالي إلاَّ بالإسلام.

٧ـ ولا يقتصر نشاط [هاجر] على الجانب الديني، فهي نشطة

سياسياً، ومؤمنة بالحقوق العادلة للشعب الفلسطيني المسلم، لذلك فهي تحاضر وتتحدث عن الظلم الذي وقع على الشعب الفلسطيني.

إنها حقاً ظاهرة فريدة: فتاة أمريكية بيضاء تتحول إلى داعية إسلامية تَذُبُّ وتدافع عن قضايا الشعب الإسلامي في مجتمع لا يُصغي، ولكنها لا تمَلُّ ولا تتعب.

ورسالتها إلى الشعوب الإسلامية عامة والعربية خاصة:

أنتم الذين أنرتم الدرب للبشرية، فلا تضعفوا أمام غزاة أرضكم المقدسة أمام إسرائيل(١) وحلفائها.

---

(١) يجب أن يُقال: (اليهود) بدلاً مِن (إسرائيل) لأن الله سماهم في القرآن بذلك؛ وقد نبهت أيضاً في كتابي: (أخطاء شائعة) على كلمة: (مسيحيين) نسبة إلى: (المسيح عليه السلام) وهو بريء منهم؛ وقد سمَّاهم الله (نصارى) في قوله: ﴿ وَقَالَتِ اليَهُودُ عُزَيْزٌ بنُ الله وَقَالَتِ النَّصَارى المسِيحُ بنُ الله﴾ « التوبة: ٣٠»

إن كلمة (إسرائيل) مركبة من كلمتين: (إسرا - ئيل) ومعناها بالسريانية: (عبد الله الصالح) وإذا أُطلقت يُراد بها نبي الله: (يعقوب عليه السلام)، فلا يجوز أن تُقال كلمة: (إسرائيل) في معرض الذم بل يُقال: (اليهود).

إهانة المرأة في بلاد الكفر

إن وضع المرأة في البلاد التي يزعمون أنها متقدمة في الحضارة وضعٌ حَرِج، فيه الإذلال والمهانة، والمجون والخلاعة، والقسوةُ والاستغلال في أقسى صورها، وأبشع مظاهرها، لا يقبلها إلاَّ ممسوخ الفطرة، منتكس السريرة، خبيث الطوية وإليك نماذج وصور من هذه المهانة:

١ـ إن القانون الإنجليزي حتى عام١٨٠٥م كان يبيح للرجل أن يبيع زوجته.

٢ـ جاء في مجلة حضارة الإسلام، السنة الثانية (ص١٠٧٨): حدث في العام الماضي أن باع إيطالي زوجته لآخر على أقساط، فلما امتنع المشتري عن سداد الأقساط قتله الزوج البائع.

٣ـ وقال الأستاذ محمد رشيد رضا رحمه الله:

من الغرائب التي نقلت عن بعض صحف إنجلترا في هذه الأيام أنه لا يزال يوجد في بلاد الأرياف الإنجليزية رجال يبيعون نساءهم بثمن بخس جداً كثلاثين شِلناً، وقد ذكرت ـ أي الصحف الإنجليزية ـ أسماء بعضهم.

٤ـ أما في أمريكا التي تتربع على قمة العالم الغربي، فإن المرأة

وصلت إلى انحطاط أخلاقي، وانهيار اجتماعي، وتَفكُّكٍ في الأُسرة:

يقول الدكتور مصطفى السباعي:

وأما المرأة فقد دفع بها الوضع الاجتماعي الذي لا يرحم إلى أن أصبحت تُطرَد مِن المنزل بعد سن الثامنة عشرة لكي تبدأ في الكدح لنيل لقمة العيش، وإذا ما أجبرتها الظروف على البقاء في المنزل مع أُسرتها بعد هذه السن، فإنها تدفع لوالديها إيجار غرفتها، وثمن طعامها، وغسيل ملابسها، بل تدفع رسماً معيناً مقابل اتصالاتها الهاتفية.

«انظر: المرأة بين الفقه والقانون ص٣٠٠»

أقول: هذا المعاملة للبنت موجودة حتى الآن في جميع بلاد الكفر، وحدثني ولدي الذي يقيم في فرنسا أن هذا موجود.

٥ـ أما عن قلة الزواج، وشيوع البغاء، وانتشار الزنا واللواط وكثرة اللقطاء، وارتفاع نسبة الطلاق، وتغلغل الأمراض التناسلية الفتاكة، ولا سيما مرض الإيدز المنتشر، والذي لم يُعرف له دواء فحدِّث عنه ولا حرَج، بل لقد وصلت المرأة الغربية إلى درجة من الانحلال والمهانة ما لا يتصوره عاقل.

يقول الدكتور نور الدين عتر :

حدثني صديق أنهى تخصصه العالي في أمريكا حديثاً :

إن في الأمريكيين أقواماً يتبادلون زوجاتهم لمدة معلومة ثم يسترجع كل واحد زوجته المعارة، تماماً كما يعير القروي دابته، أو الحضري شيئاً من متاع بيته

«انظر : كتابه ماذا عن المرأة ص١٥ـ١٦»

وكان أحد القادمين من فرنسا يحدث عن إعارة الزوجة هناك أيضاً.

وهذا رجل يذهب إلى بلد أجنبي، فتأتيه امرأة، فيزني بها، وعندما استيقظ وجد ورقة مكتوبة :

(نرحب بك زميلاً في الإيدز).

أقول: لقد انتقل المرض الخطير (الإيدز) من الزانية إلى الزاني، فهي تُرحِّب به.

٦ـ فعلى المرأة المسلمة أن تعرف أنها مُكرَّمة، وأن لا تنخدع في الحضارة الزائفة، حضارة مساواة الرجل بالمرأة، وإنما هي حضارة الإنسان بمساواة الحيوان.

* * *

خلاصة الرسالة

إن الإسلام أعطى حقوقاً للمرأة لم تعطها المرأة في الجاهلية حتى في العصر الحديث الذي يدعي التمدن والتقدم، تقول الزعيمة الغربية (أني بيزانت):

كثيراً ما يرد على فكري أن المرأة في ظل الإسلام أكثر حُرية مِن غيره، فالإسلام يحمي حقوق المرأة أكثر من الأديان الأخرى التي تحظر تعدد الزوجات.

وتعاليم الإسلام بالنسبة للمرأة أكثر عدالة، وأضمن لحريتها؛ فبينما لم تنل المرأة حق الملكية في إنجلترا إلا منذ عشرين سنة فقط، فإننا نجد أن الإسلام قد أثبت لها هذا الحق منذ اللحظة الأولى، وإن من الافتراء أن يقال إن الإسلام يعتبر النساء مجردات من الروح.

أقول: هذه شهادة مِن امرأة أجنبية:

والفضل ما شهدت به الأعداء.

* * *



أهمية تربية النساء

مَن لي بتربية النساء فإنها
في الشرق عِلَّة ذلك الإخفاق[١]
الأُم مدرسة إذا أعددتها
أعددتَ شعباً طيّب الأعراق[٢]
الأُم رَوضٌ إن تَعهَدْه الحيا[٣]
بالرِّي أورَق أيَّما إيراق!
الأُم أستاذ الأساتذة الأُولى
شغلتْ مآثرهم مدى الآفاق
أنا لا أقول دعوا النساء سوافراً[٤]
بين الرجال يَجلْسن في الأسواق
يدرجن[٥] حيث أردن لا مِن وازع
يحذرن رقبته ولا مِن واقي

---

(١) الإخفاق: عدم الظفر المطلوب.
(٢) الأعراق: الأصول.
(٣) الحيا: المطر.
(٤) السوافر: المنكشفات الوجوه.
(٥) يدرجن: يمشين، الوازع: الزاجر، والرقبة: المراقب.

يفعلـــنَ أفعـــال الـــرجـــال لـــواهيـــاً
عـــن واجبـــات نـــواعِـــس الأحـــداق
فـــي دورهـــن شـــؤونهـــن كثيـــرة
كشـــؤون رَبّ السيـــف والمِـــزراق[1]
كـــلا ولا أدعـــوكـــم أن تُســـرفـــوا
فـــي الحُجـــب والتضييـــق والإرهـــاق[2]
ليســـت نســـاؤكـــم أثـــاثـــاً يُقتنـــى
فـــي الـــديـــن بيـــن مخـــادع وطبـــاق
تتشكـــل الأزمـــان فـــي أدوارهـــا
دُوَلًا وهُـــنَّ علـــى الجمـــود بـــواقـــى
فتـــوسطـــوا فـــي الحـــالتيـــن وأنصفـــوا
فـــالشّـــرُّ فـــي التقييـــد والإطـــلاق
رَبـــوا البنـــاتِ علـــى الفضيلـــة إنهـــا
فـــي المـــوقفيـــن لهـــن خيـــر وَثـــاق
وعليكـــم أن تستبيـــن بنـــاتكـــم
نـــورَ الهـــدى وعلـــى الحيـــاء البـــاقـــي
«للشاعر حافظ إبراهيم»

---

(١) المزراق: الرمح؛ يريد أن شأن المرأة في بيتها لا يقل عن شأن القائد في الحرب.
(٢) الإرهاق: الظلم.

لا تدعوا مع الله أحداً

قولوا لمن يدعو سوى الرحمٰن ... متخشِّعاً في ذِلَّة العُبدان
يا داعياً غيرَ الإلٰه ألا اتَّئِدْ ... إن الدعاءَ عبادةُ الرحمن
أنسيتَ أنكَ عبدُه وفقيره ... ودعاؤه قد جاء في القرآن
الله أقربُ مَن دعوتَ لِكربة ... وهو المجيب بلا توسط ثان
هل جاء دعوةُ غيره في سُنة؟ ... أم أنتَ فيه تابع الشيطان؟
إن كنت فيما تدَّعيه على هُدىً ... فلْتَأْتنا بسواطع البرهان
والله ما دعتِ الصحابةُ غيره ... يتقربون به كذي الأوثان
لكنَّ هذا الفعلَ كان لديهمو ... شركاً، وفرّوا منه للإيمان
ليس التوسلُ والتقربُ بالهوى ... بل بالتقى والبِر والإحسان
هذا كتاب الله يفصل بيننا ... هل جاء فيه: توسلوا بفلان؟
إن التوسل في الكتاب لواضح ... وإذا فَطِنْتَ فإنه نوعان[1]

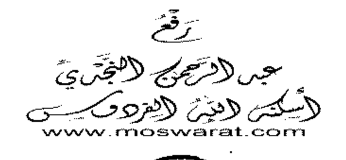
الشيخ عبدالظاهر أبو السمح

ـ رحمه الله ـ

مدير دار الحديث بمكة المكرمة وإمام الحرم المكي

---

(١) توسل المؤمنين بطاعة الله وأسمائه والعمل الصالح.
توسل المشركين بدعائهم لأوليائهم الممثلة في الأصنام.



محتويات الكتاب

الموضوع الصفحة

الصف التصويري والإخراج **الفرقان**
مكة المكرمة: ٩٨ شارع العزيزية العام مقابل مكتبة ابن زيدون ت: ٥٥٦٤٨٦٠
الرياض: ت ٤٠٤٣٧٣٢ فاكس ٤٠٤٣٧٨٧


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

تابع سلسلة التوجيهات للمؤلف :



الحجاب تكريم وحفظ للمرأة

١- لقد كرَّم الإسلام المرأة، وفرضَ عليها الحجاب لِيَحفظها مِن الأشرار وأعين الناس، ويحفظ المجتمع مِن سفورها.

٢- الحجاب يُبقي المودة بين الزوجين، فالرجل عندما يرىٰ امرأة أجمل مِن امرأته تسوء العلاقة بينهما، وربما يؤدي ذلك إلى الفراق والطلاق، بسبب هذه المرأة السافرة التي فتنت الزوج، فلم يعُد تُعجبه زوجته.

٣- المرأة المسلمة في نظر الإسلام أشبه بالجوهرة النفيسة التي يسعى صاحبها لإخفائها وسترها عن أعين الناس.

٤- تقول المستشرقة (فرانسوا ساجان):

أيتها المرأة الشرقية إن الذين ينادون باسمِكِ، ويدعون إلى خلع حجابكِ ومساواتكِ بالرجل، إنهم يضحكون عليكِ، فقد ضحكوا علينا قبلك.

٥- يقول (فون هرمر): الحجاب هو وسيلة الاحتفاظ بما يجب للمرأة مِن الاحترام والمكانة الشيء الذي تُغبَط عليه

مطبعة دار المجمع العلمي
جدة - هاتف: ٦٤٨١٦٠١ فاكس: ٦٤٧٩٤٢٧

يوزع مجاناً على نفقة المحسنين